كتاب

الأخلاق للبنات

لطالبات المدارس الإسلامية باندونيسيا

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

تأليف:
عمر بن أحمد بارجاء

طبع على نفقة
مكتبة محمد بن أحمد نبهان وأولاده
بسورابايا - إندونيسيا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى خصّنا على التحلى بمكارم الاخلاق والاداب والتخلى عن اضدادها الموجبة لشقاء الدنيا ويوم المآب، والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم بنص الكتاب، وآله وصحبه الذين اقتدوا به فسعدوا والديه بغاية الاقتراب.

وبعد فهذا هو الجزء الثانى من كتابى : الاخلاق للبنات، فى طبعته الثانية ، اقدمه الى القائمين بتربية الفتيات : من الاباء والامهات، والمعلمين والمعلمات، بعد ان فقدت نسخه من الطبعة الاولى منذ أمد بعيد، فاشتدت الحاجة اليه، وتوالت الطلبات لاعادة طبعه.

وقد ابرزته فى حلة قشيبة، وترتيب جديد، يباين طبعته القديمة، نظرا للمصلحة الداعية.

وأملى وطيد، ان يتلقوه بالاستحسان والقبول، حتى اظفر بالمنى والسول، كما حظى فى طبعته الماضية،

فقد تقبله نظار المدارس بقبول حسن. وادرجوه ضمن مناهج التعليم فى مدارسهم للبنات، اذ راوا فيه بعض الامل، لاصلاح ما فسد من الاخلاق، وانخرم مِن الاداب. لاسيما بالنسبة الى المجموع النسوى

والى الله جل جلاله أبتهل: ان يعم النفع بهذا الكتاب، فتياتنا اللاتى هن فى اشد حاجة الى مثله، وان يجعله خالصا لوجهه. ويعيننى على ابراز الجزء الثالث، فى المستقبل القريب، انه سميع مجيب ه

المؤلف

يوم الاثنين فى ٥ ذى الحجة عام - ١٢٧٤ -

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ الأخلاق

١ ـ أيتها البنت العزيزة: إنّ الأخلاق الحسنة هي سبب سعادتك في الدنيا والآخرة: يرضى عنك ربّك ويزيد لك في إيمانك، ويدخلك جنّته، ويوسّع عليك في رزقك، ويبارك لك في عمرك وأعمالك. قال تعالى: «قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها» وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أكثر ما يدخل النّاس الجنّة تقوى الله وحسن الخلق. وقال أيضاً: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وقال أيضاً: إنّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصّائم القائم. اليمن حسن الخلق. وقال حكيم: في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. وبالأخلاق الحسنة يحبّك أسرتك وجميع النّاس، وتعيشين بينهم محبوبة محترمة.

٢ ـ وأمّا الأخلاق السيّئة: فهي أصل شقاوتك في الدنيا والآخرة: ينقص إيمانك، ويسخط عليك ربّك، فيدخلك النّار، ويضيّق عليك في رزقك، وينزع البركة من عمرك

وَاَعْمَالِكِ. وَفِي الْحَدِيْثِ: سُوْءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ وَقَالَ حَكِيْمٌ: مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ رِزْقُهُ، وَعَذَّبَ نَفْسَهُ وَقَالَ الشَّاعِرُ:

اِذَا لَمْ تَتَّسِعْ اَخْلَاقُ قَوْمٍ
تَضِيْقُ بِهِمْ فَسِيْحَاتُ الْبِلَادِ

وَبِالْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ يُبْغِضُكِ اَهْلُ بَيْتِكِ، وَجَمِيْعُ النَّاسِ. وَتَعِيْشِيْنَ بَيْنَهُمْ: مُحْتَقَرَةً ذَلِيْلَةً.

٣ـ فَتَخَلَّقِي مِنْ حِيْنِ صِغَرِكِ: بِمَكَارِمِ الْاَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْآدَابِ، لِتَنْشَئِي عَلَيْهَا، وَتَتَعَوَّدِيْهَا فِي كِبَرِكِ. كَمَا قَالَ حَكِيْمٌ: مَنْ شَبَّ عَلَى شَيْءٍ: شَابَ عَلَيْهِ. وَلٰكِنْ لَا بُدَّ اَنْ تُكَلِّفِي نَفْسَكِ عَلَيْهَا اَوَّلًا، حَتّٰى تَصِيْرَ الْاَخْلَاقُ الْحَسَنَةُ طَبِيْعَةً ثَابِتَةً فِي نَفْسِكِ. وَاَمَّا اِذَا اَكْبُرْتِ وَقَدْ تَعَوَّدْتِ الْاَخْلَاقَ الْفَاسِدَةَ فَمِنَ الصَّعْبِ جِدًّا تَهْذِيْبُكِ وَاِصْلَاحُكِ: وَقَدْ لَا يَتَاَتّٰى ذٰلِكَ اَصْلًا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

قَدْ يَنْفَعُ الْاَدَبُ الْاَوْلَادَ فِي صِغَرٍ
وَلَيْسَ يَنْفَعُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ اَدَبُ
اِنَّ الْغُصُوْنَ اِذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ
وَلَا يَلِيْنُ وَلَوْ قَوَّمْتَهُ الْخَشَبُ

٤ ـ وَاعْلَمِي : اَنَّ الْفَتَاةَ لَا تَكُوْنُ مُعْتَبَرَةً بَيْنَ النَّاسِ : بِجَمَالِ وَجْهِهَا ، وَبِكَثْرَةِ ثِيَابِهَا وَحُلِيِّهَا ، وَلٰكِنْ بِأَخْلَاقِهَا وَحُسْنِ تَرْبِيَتِهَا ، وَمَاذَا يُفِيْدُ الْجَمَالُ ، مَعَ خُبْثِ النَّفْسِ ، وَسُوْءِ الْاَخْلَاقِ وَقَدْ قِيْلَ : جَمَالُ الْوَجْهِ مَعَ قُبْحِ النُّفُوْسِ ، كَقِنْدِيْلٍ عَلَى قَبْرِ الْمَجُوْسِ . وَاَيُّ فَائِدَةٍ فِي كَثْرَةِ الْحُلِيِّ وَالثِّيَابِ ، مَعَ سُوْءِ الْآدَابِ قَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَنْظُرَنَّ لِأَثْوَابٍ عَلَى اَحَدٍ
اِنْ رُمْتَ تَعْرِفُهُ فَانْظُرْ اِلَى الْاَدَبِ
فَالْعُوْدُ لَوْ لَمْ تَفُحْ مِنْهُ رَوَائِحُهُ
لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُوْدِ وَالْحَطَبِ

وَكَذٰلِكَ الْعُلُوْمُ وَالْمَعَارِفُ : لَا تَنْفَعُ مَعَ سُوْءِ الْاَخْلَاقِ وَفِي الْحَدِيْثِ : اِنَّ اَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللّٰهُ بِعِلْمِهِ ، وَالْفَتَاةُ الْمُتَعَلِّمَةُ اِذَا تَغَيَّرَتْ اَخْلَاقُهَا ، وَفَسَدَتْ سِيْرَتُهَا ، يَكْرَهُهَا النَّاسُ اَكْثَرَ مِنَ الْجَاهِلَةِ لِأَنَّهَا قَدْ تَعَلَّمَتْ وَلٰكِنَّهَا مَا عَمِلَتْ بِعِلْمِهَا ، فَلَيْسَ عِنْدَهَا اَيُّ عُذْرٍ فِي ذٰلِكَ .

٥ ـ فَيَلْزَمُكِ : اَنْ تَعْتَنِي بِتَهْذِيْبِ اَخْلَاقِكِ ، اَكْثَرَ مِمَّا تَعْتَنِيْنَ بِتَحْصِيْلِ الْعُلُوْمِ وَالْمَعَارِفِ ، وَهَا هُوَ ذَا الْجُزْءُ الثَّانِي : مِنْ كِتَابِ

الأَخْلَاقِ لِلْبَنَاتِ. فَادْرُسِيهِ بِإِمْعَانٍ وَتَدَبُّرٍ، ثُمَّ اعْمَلِي بِمَا فِيهِ لِتَنْتَفِعِي بِهِ كَمَا انْتَفَعْتِ بِالْجُزْءِ الْأَوَّلِ، وَبِذَلِكِ تَكُونِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ الْمُهَذَّبَاتِ، السَّعِيدَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

٢- وَاجِبُ الْبِنْتِ نَحْوَ رَبِّهَا تَعَالَى

١ - أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْأَدِيبَةُ: لَقَدْ مَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْكِ بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ: أَوْجَدَكِ بَعْدَ الْعَدَمِ، وَجَعَلَ لَكِ عَقْلاً، وَهَدَاكِ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكِ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ، وَخَلَقَكِ بَشَرًا سَوِيًّا، فِي أَحْسَنِ خِلْقَةٍ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: «الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ»، وَقَالَ أَيْضًا: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ». وَأَعْطَاكِ الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ، وَوَضَعَ الرَّحْمَةَ لَكِ فِي قُلُوبِ وَالِدَيْكِ حَتَّى رَبَّيَاكِ تَرْبِيَةً كَامِلَةً، وَحَبَّبَكِ إِلَى أُسْتَاذَتِكِ، حَتَّى عَلَّمَتْكِ مَا يُفِيدُكِ فِي دِينِكِ وَدُنْيَاكِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ مِنْ نِعَمِهِ تَعَالَى الَّتِي لَا تُحْصَى. كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا.

٢ ـ فَيَلْزَمُكِ أَنْ تَشْكُرِي رَبَّكِ عَلَى نِعَمِهِ: بِأَنْ تُطِيعِي أَوَامِرَهُ، وَتَبْتَعِدِي عَنْ مَنْهِيَّاتِهِ، وَتُعَظِّمِيهِ مِنْ قَلْبِكِ فَلَا تَعْمَلِي قَبِيحًا، وَلَوْ فِي حَالِ وَحْدَتِكِ، وَفِي الْحَدِيثِ، اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ. وَأَنْ تُحِبِّي رَبَّكِ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّتِكِ لِوَالِدَيْكِ وَلِنَفْسِكِ، وَتُحِبِّي أَيْضًا جَمِيعَ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يُحِبُّهُمْ.

٣ ـ وَاعْلَمِي أَنَّ رَبَّكِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْحَمُ بِكِ مِنْ وَالِدَيْكِ وَمِنْ كُلِّ أَحَدٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ وَقَفَ صَبِيٌّ فِي بَعْضِ الْمَغَازِي، يُنَادَى عَلَيْهِ فِيمَنْ يَزِيدُ أَيْ: فِي ثَمَنِهِ، وَذَلِكَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ شَدِيدِ الْحَرِّ. فَبَصُرَتْ بِهِ امْرَأَةٌ فِي خِبَاءِ الْقَوْمِ، فَأَقْبَلَتْ تَشْتَدُّ، وَأَقْبَلَ أَصْحَابُهَا خَلْفَهَا. حَتَّى أَخَذَتِ الصَّبِيَّ وَأَلْصَقَتْهُ إِلَى صَدْرِهَا، ثُمَّ أَلْقَتْ ظَهْرَهَا عَلَى الْبَطْحَاءِ، وَجَعَلَتْهُ عَلَى بَطْنِهَا تَقِيهِ الْحَرَّ، وَقَالَتْ: ابْنِي، ابْنِي. فَبَكَى النَّاسُ، وَتَرَكُوا مَا هُمْ فِيهِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ. فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَسُرَّ بِرَحْمَتِهِمْ ثُمَّ بَشَّرَهُمْ. فَقَالَ: أَعَجِبْتُمْ مِنْ رَحْمَةِ هَذِهِ لِابْنِهَا ؟

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَإِنَّ اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرْحَمُ بِكُمْ جَمِيعًا مِنْ هٰذِهِ بِابْنِهَا، فَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَفْضَلِ السُّرُورِ، وَأَعْظَمِ الْبِشَارَةِ.

٤ - وَيَجِبُ عَلَيْكِ أَيْضًا: أَنْ تُعَلِّقِي قَلْبَكِ بِرَبِّكِ جَلَّ وَعَلَا. وَتَسْتَعِينِي بِهِ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِكِ، وَتَتَوَكَّلِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ أُمُورِكِ، قَالَ تَعَالَى: «وَعَلَى اللّٰهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللّٰهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللّٰهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللّٰهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللّٰهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّٰهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّٰهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ.

٥ - وَاعْلَمِي: أَنَّ خَوْفَ اللّٰهِ إِذَا ثَبَتَ فِي قَلْبِكِ: فَإِنَّهُ يَصْدُرُ مِنْكِ كُلُّ خَيْرٍ، وَتَحْفَظِينَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَضَيْرٍ، فَلَا تَقْدِرِينَ: أَنْ تَتْرُكِي طَاعَةً، أَوْ تَعْمَلِي مَعْصِيَةً، لِأَنَّكِ تُرَاقِبِينَ رَبَّكِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، كَمَا سَيَأْتِي فِي قِصَّةِ التِّلْمِيذِ وَالْأُسْتَاذِ، وَتَكُونُ

جَمِيْعُ أَعْمَالِكِ صَالِحَةً، وَكُلُّ أَخْلَاقِكِ حَسَنَةً، وَبِضِدِّ ذٰلِكَ، إِذَا انْتُزِعَ خَوْفُ اللّٰهِ مِنَ الْقَلْبِ: فَإِنَّ الْإِنْسَانَ حِيْنَئِذٍ يَكُوْنُ أَخَسَّ وَأَخْبَثَ مِنَ الْحَيَوَانِ. فَيَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ يُرِيْدُهُ هَوَاهُ، وَلَا يُبَالِيْ وَلَا يَسْتَحِيْ مِمَّا اكْتَسَبَتْهُ يَدَاهُ.

وَاعْلَمِيْ أَيْضًا: أَنَّ شُكْرَ النِّعْمَةِ: سَبَبٌ لِزِيَادَتِهَا، كَمَا أَنَّ كُفْرَانَهَا سَبَبٌ لِزَوَالِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيْدَنَّكُمْ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِيْ لَشَدِيْدٌ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا كُنْتَ فِيْ نِعْمَةٍ فَارْعَهَا

فَإِنَّ الْمَعَاصِيْ تُزِيْلُ النِّعَمْ

فَإِذَا اتَّقَيْتِ رَبَّكِ، وَشَكَرْتِ لَهُ نِعَمَهُ: زَادَكِ مِنْ فَضْلِهِ وَمَنِّهِ، وَحَفِظَكِ مِنْ جَمِيْعِ الْمَصَائِبِ، وَأَعْطَاكِ كُلَّ مَا تَطْلُبِيْنَ، وَأَحَبَّكِ مَوْلَاكِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَجَعَلَ الْخَلْقَ يُحِبُّوْنَكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا. أَيْ: يُحِبُّهُمْ وَيُحَبِّبُهُمْ لِلنَّاسِ، وَفِي الْحَدِيْثِ: إِنَّ اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللّٰهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يُنَادِيْ جِبْرِيْلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللّٰهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوْهُ، فَيُحِبُّهُ

أَهْلَ السَّمَاءِ ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ .

٣ - قِصَصٌ تَطْبِيقِيَّةٌ

١ - كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَتْقَى النَّاسِ لِلّٰهِ وَأَفْضَلَ قَائِمٍ بِحَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَكَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ لَهُ سَيِّدَتُنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : لِمَ تَصْنَعُ هٰذَا يَارَسُولَ اللهِ ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ : أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ وَكَانَ فِي حَالِ الصَّلَاةِ : يُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْقِدْرِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَكَانَ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي . وَإِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ يُحِبُّهُ ، قَالَ : اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ ، وَإِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ قَالَ : اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَإِنْ قَصَدَ فِعْلَ شَيْءٍ قَالَ : اَللّٰهُمَّ خِرْلِي ، وَاخْتَرْلِي ، وَإِنْ أَكَلَ قَالَ : اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا ، وَسَقَانَا ، وَجَعَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنْ شَرِبَ قَالَ : اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَاءَ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا . إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ

مِنَ الأذكارِ الَّتِيْ يَتْلُوْهَا فِي كُلِّ حَالاتِهِ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِرَبِّهِ، وَتَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ وَإِخْلاصِهِ فِي خِدْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢۔ كَانَتْ سَيِّدَتُنَا خَدِيْجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجُ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مِثَالُ التَّقْوَى وَالطَّاعَةِ تَخَافُ اللهَ وَلَا تَعْصِيْهِ وَلَا تَتْرُكُ شَيْئًا مِنْ وَاجِبَاتِهَا، حَتَّى أَحَبَّهَا رَبُّهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَفِي الْحَدِيْثِ: أَتَى جِبْرِيْلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُوْلَ اللهِ، هٰذِهِ خَدِيْجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيْهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّيْ وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيْهِ وَلَا نَصَبَ، وَالْقَصَبُ: اللُّؤْلُؤُ، وَالصَّخَبُ: شِدَّةُ الصَّوْتِ وَالنَّصَبُ: التَّعَبُ. فَقَالَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: اَللهُ السَّلَامُ وَمِنْهُ السَّلَامُ وَعَلَى جِبْرِيْلَ السَّلَامُ.

وَكَانَتْ فِي غَايَةِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَالطَّاعَةِ الْكَامِلَةِ، لِزَوْجِهَا الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْخِدْمَةِ لَهُ: تُسَاعِدُهُ عَلَى نَشْرِ الْإِسْلَامِ، وَتُخَفِّفُ عَنْهُ أَذَى قَوْمِهِ، وَتَصْبِرُ عَلَى جَمِيْعِ الشَّدَائِدِ مِنْ أَجْلِهِ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ وَآمَنَ بِهِ، وَمَكَثَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعًا وَعِشْرِيْنَ سَنَةً، فِي أَتَمِّ رَاحَةٍ وَهَنَاءٍ وَسُرُوْرٍ وَصَفَاءٍ، وَهِيَ أَفْضَلُ زَوْجَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيْجَةَ لَمْ يَسْأَمْ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهَا، وَالْاِسْتِغْفَارِ لَهَا

٣- وَكَانَتْ سَيِّدَتُنَا فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ذَاتَ حَظٍّ عَظِيْمٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ: تَرَبَّتْ عِنْدَ أَبِيْهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَرْبِيَةً عَالِيَةً، وَنَشَأَتْ نَشْأَةً صَالِحَةً تَخَافُ اللهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَتُسَارِعُ إِلَى رِضَاءِ رَبِّهَا غَايَةَ اسْتِطَاعَتِهَا، وَتَقُوْمُ لِلصَّلَاةِ حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهَا، وَلِذٰلِكَ كَانَتْ أَحَبَّ بَنَاتِهِ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَسَيِّدَةَ نِسَاءِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ. وَكَانَتْ شَفِيْقَةً رَحِيْمَةً: تُحِبُّ الْمَسَاكِيْنَ، وَتُعِيْنُ الْمُحْتَاجِيْنَ، وَتَعْتَنِي بِتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا، مُخْلِصَةً لِزَوْجِهَا شَدِيْدَةَ الْحَيَاءِ. وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهَا أَبُوْهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ شَيْءٍ خَيْرٌ لِلْمَرْأَةِ؟ قَالَتْ: أَنْ لَا تَرَى رَجُلًا وَلَا يَرَاهَا رَجُلٌ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، (أَيْ: فَرَحًا وَسُرُوْرًا بِحُسْنِ جَوَابِهَا) وَقَالَ: ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا

مِنْ بَعْضٍ. وَكَانَتْ بَارَّةً بِأُمِّهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فِي حَيَاتِهَا وَبَعْدَ مَوْتِهَا وَفِي الْحَدِيْثِ: اِنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَائِلَةً: يَا رَسُوْلَ اللهِ، اَيْنَ اُمِّيْ؟ فَقَالَ: فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، قَالَتْ: اَمِنْ هٰذَا الْقَصَبِ؟ قَالَ: لَا، مِنَ الْقَصَبِ الْمَنْظُوْمِ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوْتِ وَاللُّؤْلُؤِ. وَكَانَتْ تَشْتَغِلُ بِشُؤُوْنِ مَنْزِلِهَا بِنَفْسِهَا: تَطْحَنُ الْحَبَّ بِالرَّحٰى. حَتَّى غَلُظَ جِلْدُ يَدَيْهَا، وَتَكْنُسُ الْبَيْتَ، حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا، وَتُوْقِدُ النَّارَ تَحْتَ الْقِدْرِ، حَتَّى دَكِنَتْ مَلَابِسُهَا، اَيْ: مَالَتْ اِلَى السَّوَادِ وَتَسْتَقِيْ بِالْقِرْبَةِ، حَتَّى اَثَّرَتْ فِي صَدْرِهَا، فَاَصَابَهَا مِنْ ذٰلِكَ ضَرَرٌ شَدِيْدٌ وَلٰكِنَّهَا صَابِرَةٌ، حَتَّى حَمَلَتْ فَتَعِبَتْ غَايَةَ التَّعَبِ، لِاَنَّهَا اِذَا خَبَزَتْ، صَادَفَ طَرَفُ التَّنُّوْرِ بَطْنَهَا.

فَاَمَرَهَا زَوْجُهَا، اَنْ تَذْهَبَ اِلٰى بَيْتِ اَبِيْهَا، وَتَسْأَلَهُ خَادِمَةً فَذَهَبَتْ اِلَيْهِ، وَوَجَدَتْ عِنْدَهُ جَمَاعَةً يَتَحَدَّثُوْنَ. فَاسْتَحْيَتْ وَانْصَرَفَتْ، فَعَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اَنَّهَا جَاءَتْ لِحَاجَةٍ، فَمَشٰى اِلٰى بَيْتِهَا. فَاِذَا هِيَ قَدِ الْتَحَفَتْ بِلِحَافِهَا تُرِيْدُ النَّوْمَ، فَسَأَلَهَا عَنْ حَاجَتِهَا، فَاَخْبَرَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ بِمَقْصُوْدِهَا. فَقَالَ لَهُمَا: اَفَلَا اُعَلِّمُكُمَا مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنَ الْخَادِمِ؟ اِذَا اَخَذْتُمَا مَنَامَكُمَا، فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِيْنَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِيْنَ وَكَبِّرَا اَرْبَعًا وَثَلَاثِيْنَ. فَقَالَتْ

سَيِّدَتُنَا فَاطِمَةُ: رَضِيتُ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَارِيَةً لِلْخِدْمَةِ، وَسَمَّاهَا فِضَّةَ، وَذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَوَجَدَهُ هُوَ وَسَيِّدَتَنَا فَاطِمَةَ يَطْحَنَانِ فِي الرَّحَى، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّكُمَا أَعْيَى؟ (أَيْ: تَعِبَ) فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ: فَاطِمَةُ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ لَهَا: قُومِي يَا بُنَيَّةُ، فَقَامَتْ، وَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَوْضِعَهَا مَعَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ، فَوَاسَاهُ فِي طَحْنِ الْحَبِّ.

٤ - وَمِنَ النِّسَاءِ الْعَالِمَاتِ الصَّالِحَاتِ: سَيِّدَتُنَا عَائِشَةُ بِنْتُ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، كَانَتْ كَثِيرَةَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، كَثِيرَةَ الصَّدَقَةِ: تَصَدَّقَتْ ذَاتَ يَوْمٍ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَقَمِيصُهَا مُرَقَّعٌ وَجَاءَهَا مَالٌ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ؛ فَفَرَّقَتْهَا وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صَائِمَةٌ، فَقَالَتْ لَهَا خَادِمَتُهَا: أَمَا اسْتَطَعْتِ فِيمَا أَنْفَقْتِ أَنْ تَشْتَرِيَ بِدِرْهَمٍ لَحْمًا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ: لَوْ كُنْتِ أَذْكَرْتِنِي لَفَعَلْتُ.

وَكَانَتْ شَدِيدَةَ الْحَيَاءِ وَالْعِفَّةِ، قَالَتْ: كُنْتُ أَدْخُلُ الْبَيْتَ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي رَضِيَ

اللهُ عَنهُ: وَاضِعَةً ثَوْبِي، وَاَقُولُ: اِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَاَبِي. فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وَاللهِ مَا دَخَلْتُهُ اِلَّا مَشْدُوْدَةً عَلَيَّ ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ. فَانظُرِي اِلَى حَيَائِهَا مِنَ الاَجْنَبِيِّ، حَتَّى فِي قَبْرِهِ.

وَكَانَتْ فَقِيهَةً مُحَدِّثَةً: وَرَوَتْ اَحَادِيثَ كَثِيرَةً، وَكَانَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ، يَسْأَلُوْنَهَا عَنْ مَسَائِلَ: فَتُجِيبُهُمْ عَنهَا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهَا، وَيُثْنِيْ عَلَيهَا كَثِيرًا، وَفِي الحَدِيثِ: فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى الطَّعَامِ. وَفِيهِ اَيضًا: يَا عَائِشُ، هٰذَا جِبْرِيْلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ، فَقَالَتْ: وَعَلَيهِ السَّلَامُ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

٥ ـ كَانَ بَعْضُ الاَسَاتِذَةِ يُحِبُّ اَحَدَ تَلَامِذَتِهِ، اَكْثَرَ مِنْ زُمَلَائِهِ. فَتَعَجَّبُوْا مِنْ ذٰلِكَ وَقَالُوْا: لِاَيِّ شَيْءٍ يُحِبُّ اُسْتَاذُنَا هٰذَا التِّلْمِيْذَ، اَكْثَرَ مِنَّا؟ فَاَرَادَ الاُسْتَاذُ اَنْ يُظْهِرَ لَهُمُ السَّبَبَ فِي ذٰلِكَ، فَاَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ دَجَاجَةً، وَقَالَ لِيَنْفَرِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي مَكَانٍ. وَلْيَذْبَحِ الدَّجَاجَةَ حَيْثُ لَا يَرَاهُ اَحَدٌ. فَامْتَثَلَ التَّلَامِيْذُ اَمْرَ الاُسْتَاذِ اِلَّا ذٰلِكَ التِّلْمِيْذَ الوَحِيْدَ، فَاِنَّهُ رَدَّ الدَّجَاجَةَ. فَقَالَ لَهُ اُسْتَاذُهُ: مَا لَكَ لَمْ تَذْبَحْ دَجَاجَتَكَ كَمَا ذَبَحَ اَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: لِاَنِّي لَمْ اَقْدِرْ اَنْ اَنْفَرِدَ فِي مَكَانٍ، لَا يَرَانِي فِيْهِ اَحَدٌ، فَاِنَّ اللهَ يَرَانِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ

فَقَالَ الْأُسْتَاذُ لِلتَّلَامِيْذِ: أُنْظُرُوا إِلَى هٰذَا التِّلْمِيْذِ: يَخَافُ اللهَ. وَلَا يَنْسَاهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ فَلِهٰذَا أَحْبَبْتُهُ أَكْثَرَ مِنْكُمْ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُ إِذَا كَبِرَ: يَكُوْنُ مِنَ الصَّالِحِيْنَ، الْمُطِيْعِيْنَ لِرَبِّهِمْ فِي كُلِّ حِيْنٍ.

---

٤ - وَاجِبُ الْبِنْتِ نَحْوَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

١ - اِعْلَمِيْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. لَهُ حَقٌّ عَظِيْمٌ عَلَيْكِ، وَحَقُّهُ أَعْظَمُ الْحُقُوْقِ بَعْدَ حَقِّ اللهِ تَعَالٰى، وَالْأَدَبُ مَعَهُ آكَدُ الْآدَابِ وَأَوْجَبُهَا، فَهُوَ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَهُوَ الَّذِيْ أَتَى بِدِيْنِ الْإِسْلَامِ، وَبِوَاسِطَتِهِ عَرَفْتِ رَبَّكِ وَفَرَّقْتِ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

٢ - وَإِنَّكِ لَا تَقْدِرِيْنَ أَنْ تَجْزِيْ نَبِيَّكِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَبَدًا، فَيَجِبُ عَلَيْكِ أَنْ تُحِبِّيْهِ غَايَةَ الْمَحَبَّةِ، وَأَنْ تُحِبِّيْ أَيْضًا أَهْلَ بَيْتِهِ، وَأَصْحَابَهُ وَجَمِيْعَ أُمَّتِهِ، وَفِي الْحَدِيْثِ: أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوْكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّوْنِيْ لِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوْا أَهْلَ بَيْتِيْ لِحُبِّيْ. وَفِي الْحَدِيْثِ الْآخَرِ: اِحْفَظُوْنِيْ فِيْ أَصْحَابِيْ. لَا تَتَّخِذُوْهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِيْ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّيْ أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِيْ

اَبْغَضَهُمْ: وَفِي الْحَدِيْثِ الْآخَرِ: لَايُؤْمِنُ اَحَدُكُمْ حَتّٰى يُحِبَّ لِاَخِيْهِ
مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.

٣ - وَيَجِبُ عَلَيْكَ اَيْضًا: اَنْ تُطِيْعَهُ فِي جَمِيْعِ اَوَامِرِهِ، كَمَا قَالَ
تَعَالٰى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا»
«مَنْ يُطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَدْ اَطَاعَ اللّٰهَ»، وَمِنْ طَاعَتِهِ: اَنْ تَنْصُرَ
دِيْنَهُ بِقَوْلِكَ وَفِعْلِكَ، وَاَنْ تُحْيِيَ سُنَّتَهُ وَتَتَّبِعَهُ فِي اَخْلَاقِهِ وَفِي
الْحَدِيْثِ: مَنْ اَحْيٰى سُنَّتِيْ: فَقَدْ اَحَبَّنِيْ، وَمَنْ اَحَبَّنِيْ: كَانَ مَعِيْ
فِي الْجَنَّةِ. وَاَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ كَمَا اَمَرَكَ اللّٰهُ بِقَوْلِهِ تَعَالٰى: «اِنَّ اللّٰهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ. يَا اَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا صَلُّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوْا
تَسْلِيْمًا»، وَخُصُوْصًا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَهَا، كَمَا فِي الْحَدِيْثِ: اَكْثِرُوْا مِنَ
الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ فَمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ: كُنْتُ لَهُ
شَهِيْدًا اَوْشَافِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٤ - وَوَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ: اَنَّ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ مَوْلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ شَدِيْدَ الْمَحَبَّةِ لِلرَّسُوْلِ، قَلِيْلَ الصَّبْرِ
عَنْهُ، فَاَتَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ يُعْرَفُ الْحُزْنُ فِي وَجْهِهِ
فَقَالَ لَهُ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ؟ فَقَالَ
يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ، مَا بِيْ مَرَضٌ وَلَا وَجَعٌ، غَيْرَ اَنِّيْ اِذَا لَمْ اَرَكَ: اِسْتَوْحَشْتُ

وَحْشَةً شَدِيدَةً حَتّى أَلْقَاكَ. ثُمَّ ذَكَرْتُ الآخِرَةَ فَأَخَافُ أَنْ لا أَرَاكَ لِأَنَّكَ تُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَفِي مَنْزِلَةٍ أَدْنَى مِنْ مَنْزِلَتِكَ، وَإِنْ لَمْ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ: لا أَرَاكَ أَبَدًا. فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا.

---

٥ - نُبْذَةٌ مِنْ أَخْلاقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -١-

١ - إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هُوَ الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ لِلْمُسْلِمِينَ، فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَفِي سِيرَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى، «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»، فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقْتَدِيَ بِنَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَتَّبِعَهُ؛ لِتَسْعَدَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَتَنَالَ الْخَيْرَاتِ الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ.

٢ - وَإِنَّ مِنْ أَخْلاقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الصِّدْقَ: مَا كَذَبَ قَطُّ، لا فِي الْجِدِّ وَلا فِي الْمَزْحِ، وَقَدِ اشْتَهَرَ بِهِ مِنْ حِينِ نَشْأَتِهِ، وَشَهِدَ لَهُ بِهِ الأَعْدَاءُ، فَضْلاً عَنِ الأَصْدِقَاءِ، صَعِدَ عَلَى الصَّفَا فِي أَوَّلِ بَعْثَتِهِ، وَنَادَى قَبَائِلَ قَوْمِهِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تَسْتَغِيرُ عَلَيْكُمْ، فَهَلْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ أَجَابُوا كُلُّهُمْ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. وَالْأَمَانَةَ حَتَّى اشْتَهَرَ بَيْنَ قَوْمِهِ بِلَقَبِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ، وَلَمَّا جَدَّدُوا بِنَاءَ الْكَعْبَةِ: اخْتَلَفُوا فِيمَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مَكَانَهُ، حَتَّى تَوَاعَدُوا لِلْقِتَالِ، ثُمَّ اتَّفَقُوا: عَلَى أَنْ يَكُونَ الْحَكَمُ أَوَّلَ دَاخِلٍ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. فَفَرِحُوا بِهِ، وَقَالُوا: هٰذَا الْأَمِينُ، وَكُلُّنَا نَرْضَاهُ حَكَمًا. فَوَضَعَ الْحَجَرَ فِي ثَوْبٍ، وَقَالَ: لِيَأْخُذْ كُلُّ رَئِيسٍ بِطَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ، ثُمَّ يَرْفَعُونَهُ إِلَى مَحَلِّهِ فَعَمِلُوا بِرَأْيِهِ. وَوَضَعَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَوْضِعِهِ، وَزَالَ الْخِلَافُ. وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْتَوْدِعُونَ نَفِيسَ أَمْوَالِهِمْ فِي دَارِهِ، وَلَمَّا أَرَادَ الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ: كَانَ أَعْظَمُ هَمِّهِ فِيمَنْ يَنُوبُ عَنْهُ. فِي رَدِّ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، فَأَمَرَ سَيِّدَنَا عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِذٰلِكَ، وَقَالَ لَهُ: لَا تُغَادِرْ مَكَّةَ حَتَّى تَنْتَهِيَ مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَاتِ. وَفِي الْحَدِيثِ: وَاللهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ، أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ.

٣ ـ وَالْبِرَّ بِالْوَعْدِ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الْحَمْسَاءِ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى

اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّمَ بِبيعٍ قَبلَ أنْ يُبعثَ، وبَقِيتْ لَه بقيّةٌ، فوعدتُه أنْ آتيهُ بها في مَكانِه فنَسِيتُ، ثمّ ذكرتُ بعدَ ثلاثٍ، فجئتُ فإذا هوَ في مَكانِه، فقالَ: يا فتى، لقدْ شققتَ عليّ، أنا هُهنا منذُ ثلاثٍ أنتظرُكَ. والتواضعَ: يجلسُ معَ أصحابِهِ حيثُ ينتهي بِهِ المجلسُ ويمشي بينَهم، ولا يختصّ دونَهم بمكانٍ، ودخلَ مكّةَ في عشرةِ آلافِ مقاتلٍ، راكباً ناقتَهُ، مطأطئاً رأسَهُ حتّى حاذى بِهِ رحلَهُ، تواضعاً وخشيةً. وحجّ حجّةَ الوداعِ في نحوِ مائةِ ألفٍ منْ أصحابِهِ فركبَ على رحلٍ رثٍّ، وعليهِ قطيفةٌ ما تساوي أربعةَ دراهمَ، معَ أنّه قدْ ملكَ جزيرةَ العربِ، وحملتْ إليهِ الأموالُ، ولكنّه أنفقها كلّها في سبيلِ اللهِ، ونحرَ في تلكَ الحجّةِ: مائةَ بدنةٍ وكانَ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّمَ في سفرٍ، وأمرَ أصحابَه بإصلاحِ شاةٍ، فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ: عليّ ذبحُها. وقالَ آخرُ: عليّ سلخُها، وقالَ آخرُ: عليّ طبخُها: فقالَ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّمَ: وعليّ جمعُ الحطبِ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ: نكفيكَ العملَ. فقالَ: علمتُ أنّكم تكفونَني، ولكنْ أكرهُ أنْ أتميّزَ عليكم، وإنّ اللهَ سبحانَه وتعالى يكرهُ منْ عبدِهِ أنْ يراهُ متميّزاً بينَ أصحابِهِ.

ومنْ تواضعِهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّمَ: أنّه إذا مرّ بالصّبيانِ

يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَقُومَ لَهُ أَحَدٌ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَيَرْقَعُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَكْنُسُ بَيْتَهُ، وَيَخْدُمُ أَهْلَهُ، وَيَحْمِلُ مَا يَشْتَرِيهِ مِنَ السُّوقِ بِيَدِهِ، فَيَقُولُ لَهُ صَاحِبُهُ: أَعْطِنِي أَحْمِلْهُ فَيَقُولُ: صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ.

٤ - وَمِنْ أَخْلَاقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الصَّبْرُ وَالْحِلْمُ وَالْعَفْوُ، كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَجَمْعٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هٰذَا الْمُرَائِي! أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ، فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلَاهَا، فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُمْهِلُهُ، حَتَّى إِذَا سَجَدَ: وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ، وَهُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَلَمَّا سَجَدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَأُخْبِرَتْ سَيِّدَتُنَا فَاطِمَةُ بِذٰلِكَ، وَهِيَ لَا تَزَالُ صَغِيرَةً، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتِ السَّلَى عَلَيْهِمْ، تَسُبُّهُمْ وَتَدْعُو عَلَيْهِمْ. وَأَقَامَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ: ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا، آذَوْهُ بِأَنْوَاعِ الْإِيذَاءِ، وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى خُضِبَتْ نَعْلَاهُ بِالدِّمَاءِ، فَكَانَ يَدْعُو لَهُمْ وَيَقُولُ: اللّٰهُمَّ اهْدِ قَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَشَجُّوا

وَجْهَهُ، وَاَسْقَطُوْهُ فِي حُفْرَةٍ، فَعَفَا عَنْهُمْ، وَمَا دَعَا عَلَيْهِمْ. وَعَفَا عَنِ الْيَهُوْدِيَّةِ الَّتِيْ قَدَّمَتْ اِلَيْهِ شَاةً مَسْمُوْمَةً لِيَأْكُلَ مِنْهَا. اِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ، وَلَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ: عَفَا عَنْ اَهْلِهَا، وَهُمْ لَا يَشُكُّوْنَ اَنَّهُ سَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ بِقَتْلٍ اَوْ غَيْرِهٖ.

---

٦ - نُبْذَةٌ مِنْ اَخْلَاقِهٖ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ ٢

٥ - وَمِنْ صَبْرِهٖ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ اَنَّهُ تَرَبّٰى فِيْ بَيْتِ عَمِّهٖ اَبِيْ طَالِبٍ، عَلٰى شَظَفِ الْعَيْشِ، قَانِعًا بِمَا يَصِلُ اِلَيْهِ: لَمْ يُزَاحِمْ خُلَطَاءَهُ عَلٰى طَعَامٍ، وَقَدْ شَهِدَتْ لَهُ بِذٰلِكَ حَاضِنَتُهُ اُمُّ اَيْمَنَ ثُمَّ لَمَّا اَغْنَاهُ اللّٰهُ: زَهِدَ فِي الدُّنْيَا، وَاكْتَفٰى مِنْهَا عَلٰى قَدْرِ الضَّرُوْرَةِ: فَكَانَ يَنَامُ عَلٰى حَصِيْرٍ لَيْسَ تَحْتَهُ غَيْرُهُ، وَكَانَتْ وِسَادَتُهُ مِنْ جِلْدٍ حَشْوُهَا لِيْفٌ، وَلِبَاسُهُ الْبُرْدُ الْغَلِيْظَةُ، وَطَعَامُهُ التَّمْرُ وَالشَّعِيْرُ، يَمْضِيْ عَلَيْهِ الشَّهْرُ وَالشَّهْرَانِ، لَا يُوْقِدُ اَهْلُهُ نَارًا، وَاِنَّمَا يَكْتَفُوْنَ بِالتَّمْرِ وَالْمَاءِ، وَكَثِيْرًا مَا كَانَ يَبِيْتُ طَاوِيًا، وَيُصْبِحُ صَائِمًا، وَكَانَ يَعْصِبُ الْحَجَرَ عَلٰى بَطْنِهٖ مِنَ الْجُوْعِ، وَحُمِلَتْ اِلَيْهِ الْاَمْوَالُ فَلَمْ يَدَّخِرْ لِنَفْسِهٖ مِنْهَا شَيْئًا، بَلْ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُوْنَةٌ عِنْدَ يَهُوْدِيٍّ فِيْ

ثلاثين صاعاً من شعير، ولو اراد ان يتنعم في الدنيا لكان له ذلك، ولكنه اختار الزهد والصبر.

٦ - ومن اخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم الحياء والإغضاء، كان اشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان اذا كره شيئاً: عرف ذلك في وجهه، لا يشافه احداً بما يكرهه، ولا يثبت بصره في وجه احد، واذا بلغه عن احد ما يكرهه: لم يقل ما بال فلان يقول كذا، ولكن يقول: ما بال اقوام يصنعون، او يقولون كذا، ينهى عنه ولا يسمى فاعله. وكان يعرض عمن تكلم بغير جميل.

والعفة والقناعة: كان صلى الله عليه وآله وسلم اعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة اجنبية.

ويرضى من اللباس والطعام بالموجود ولا يسأل عن المفقود، وما ذم طعاماً قط، لكن إن اعجبه اكله وإن كرهه تركه، وما بغضه الى غيره.

ومن اخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم: الشجاعة والإقدام، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب، لقربه من العدو.

والثبات على المبادئ، واداء الواجب، ولا يبالي بالعقبات الشديدة والأذيات العظيمة، وكم اوذي في سبيل الدين، واوذي

اَهْلُ بَيْتِهِ وَاَصْحَابُهُ، حَتَّى اَمَرَهُمْ بِالْهِجْرَةِ اِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّتَيْنِ، وَدَخَلَ هُوَ وَقَوْمُهُ الشِّعْبَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ، لَا يَصِلُ اِلَيْهِمُ الْقُوتُ اِلَّا خُفْيَةً، حَتَّى اَكَلُوا وَرَقَ الشَّجَرِ.

٧ ـ وَالْجُودُ وَالسَّخَاءُ: كَانَ لَا يَرُدُّ مَنْ طَلَبَ مِنْهُ شَيْئًا، وَاِذَا لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يُعْطِيهِ: وَعَدَهُ بِاِعْطَائِهِ فِي وَقْتٍ آخَرَ، وَحُمِلَتْ اِلَيْهِ مَرَّةً تِسْعُونَ اَلْفًا، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَسَمَهَا، ثُمَّ جَاءَ سَائِلٌ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اقْتَرِضْ وَنَحْنُ نُوَفِّيهِ لَكَ.

وَذَاتَ يَوْمٍ اَعْطَى رَجُلًا غَنَمًا، سَدَّتْ مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ اِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: اَسْلِمُوا، فَاِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ.

وَالرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، قَالَ تَعَالَى: «وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»، وَمِنْ شَفَقَتِهِ: اَنَّهُ صَلَّى مَرَّةً، وَهُوَ يَحْمِلُ اُمَامَةَ ابْنَةَ بِنْتِهِ زَيْنَبَ، عَلَى عَاتِقِهِ فَاِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَاِذَا قَامَ حَمَلَهَا، وَكَانَ لِاَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ اَخٌ، يُقَالُ لَهُ: اَبُو عُمَيْرٍ، وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ، (طَائِرٌ اَحْمَرُ الْمِنْقَارِ) يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَرَاَى الْوَلَدَ حَزِينًا، فَقَالَ: مَا شَاْنُهُ؟ قِيلَ لَهُ: مَاتَ نُغَرُهُ، فَقَالَ: يَا اَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟

٨ ـ وَالْوَفَاءُ، وَحُسْنُ الْعَهْدِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْعِشْرَةِ: كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِهَدِيَّةٍ، قَالَ: اذْهَبُوا بِهَا إِلَى بَيْتِ فُلَانَةَ فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةً لِخَدِيجَةَ. إِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ. وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا يَوْمًا، فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ، فَوَضَعَ لَهَا شِقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الْآخَرِ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَانَ يُجِلُّ عَمَّهُ الْعَبَّاسَ، إِجْلَالَ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَةِ، وَكَانَ دَائِمَ التَّبَسُّمِ لِأَصْحَابِهِ يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِيبَهُ مِنَ الْإِكْرَامِ، وَإِذَا افْتَقَدَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ: سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ غَائِبًا دَعَا لَهُ، وَإِنْ كَانَ شَاهِدًا زَارَهُ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عَادَهُ.

---

٧ ـ مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكِ لِوَالِدَيْكِ؟

أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْعَزِيزَةُ: لَقَدْ عَرَفْتِ قَدْرَ مَحَبَّةِ وَالِدَيْكِ لَكِ وَمَا لَقِيَا فِي سَبِيلِ تَرْبِيَتِكِ مِنَ الْأَتْعَابِ وَالْمَشَقَّاتِ، وَهُمَا صَابِرَانِ مَسْرُورَانِ، فَيَجِبُ عَلَيْكِ أَنْ تُقَابِلِي هٰذَا الْإِحْسَانَ بِالْإِحْسَانِ،

وَاَنْ تَعْمَلِي كُلَّ مَا تَسْتَطِيْعِيْنَ فِي بِرِّهِمَا وَمَعَ ذٰلِكَ تَشْهَدِيْنَ الْفَضْلَ وَالْمِنَّةَ لَهُمَا، وَتَعْتَرِفِيْنَ اَنَّكِ مَا قُمْتِ تَمَامًا بِحُقُوْقِهِمَا، وَاَنْ تَعْمَلِي بِهٰذِهِ الْوَاجِبَاتِ :

١ ـ اَنْ تُحِبِّيْهِمَا مِنْ صَمِيْمِ قَلْبِكِ، وَتَحْتَرِمِيْهِمَا غَايَةَ الْاِحْتِرَامِ، وَتُعَامِلِيْهِمَا بِكُلِّ شَيْئٍ يُفَرِّحُ قُلُوْبَهُمَا، وَتَحْتَرِزِي مِنْ اَيِّ شَيْئٍ يُكَدِّرُهُمَا وَتُصْغِي اِلَى نَصَائِحِهِمَا ، وَتُبَادِرِيْ اِلَى امْتِثَالِ اَوَامِرِهِمَا، وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمَا، وَتُصَافِحِيْهِمَا كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَتُقَابِلِيْهِمَا بِوَجْهٍ بَسَّامٍ، وَتَدْعِي لَهُمَا بِطُوْلِ الْعُمُرِ، فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ، وَبِحُصُوْلِ مَقَاصِدِهِمَا، وَبِاَنْ يَجْزِيَهُمَا اللّٰهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ، عَلَى حُسْنِ تَرْبِيَتِهِمَا .

٢ ـ وَاَنْ تَعْلَمِيْ اَنَّ بَقَاءَ وَالِدَيْكِ نِعْمَةٌ لَكِ مِنَ اللّٰهِ عَظِيْمَةٌ، وَبَرَكَةٌ عَلَيْكِ وَرَحْمَةٌ : تَتَمَتَّعِيْنَ بِالنَّظَرِ اِلَيْهِمَا، وَفِي ذٰلِكَ ثَوَابٌ عَظِيْمٌ، كَمَا فِي الْحَدِيْثِ: مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْظُرُ اِلَى وَجْهِ وَالِدَيْهِ نَظَرَ رَحْمَةٍ : اِلَّا كَتَبَ اللّٰهُ لَهُ بِهَا حَجَّةً مَقْبُوْلَةً : وَتُصَافِحِيْنَهُمَا كُلَّ يَوْمٍ، وَتُشَاوِرِيْنَهُمَا فِي اُمُوْرِكِ، وَتُدْخِلِيْنَ السُّرُوْرَ عَلَيْهِمَا، وَتَقْضِيْنَ حَوَائِجَهُمَا ، وَيَدْعُوَانِ لَكِ بِكُلِّ خَيْرٍ، فَمَا اَعْظَمَ هٰذِهِ النِّعَمَ ! وَمَا اَجْزَلَ هٰذَا الثَّوَابَ ! فَحَقًّا لَا تَعْرِفُ الْبِنْتُ مَبْلَغَ النِّعْمَةِ بِوُجُوْدِ وَالِدَيْهَا : اِلَّا اِذَا فَقَدَتْهُمَا، فَهُنَاكَ تُحِسُّ بِالْخَسَارَةِ الْعَظِيْمَةِ، وَالْحُزْنِ الشَّدِيْدِ

عَلَى فِرَاقِهِمَا.

٣ - وَأَنْ تَسْتَعْمِلِي الأَدَبَ مَعَهُمَا فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ فَلَا تَسْتَنِدِي بِرَيْهِمَا وَلَا تَدْعِيهِمَا بِاسْمِهِمَا، وَلَا تَضْحَكِي بِحَضْرَتِهِمَا. فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الضَّحِكِ أَوْ بِصَوْتٍ شَدِيدٍ، وَلَا تَنْظُرِي إِلَيْهِمَا بِعَيْنٍ حَادَّةٍ، وَلَا تَكْذِبِي عَلَيْهِمَا، أَوْ تَشْتِمِيهِمَا، أَوْ تَتَكَلَّمِي مَعَهُمَا بِكَلَامٍ قَبِيحٍ، وَلَا تَرْفَعِي صَوْتَكِ فَوْقَ صَوْتِهِمَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: «وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا: أُفٍّ، وَلَا تَنْهَرْهُمَا، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا، كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا».

٤ - وَأَنْ تَحْرِصِي دَائِمًا عَلَى رِضَا وَالِدَيْكِ: بِأَنْ تَجْتَهِدِي فِي مُطَالَعَةِ دُرُوسِكِ وَتَذْهَبِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، وَتُحَافِظِي عَلَى كُتُبِكِ وَمَلَابِسِكِ، وَجَمِيعِ أَدَوَاتِكِ، وَتُرَتِّبِيهَا فِي مَوَاضِعِهَا، وَلَا تُغَيِّرِي أَوْ تُضَيِّعِي شَيْئًا مِنْهَا. وَأَنْ تَعْمَلِي فِي الْمَنْزِلِ وَخَارِجِهِ؛ كُلَّ شَيْءٍ يُفَرِّحُهُمَا، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِكِ، وَأَخَوَاتِكِ، أَوْ أَحَدًا مِنَ الْخَادِمَاتِ. وَلَا تُخَاصِمِي مَعَ بَنَاتِ جِيرَانِكِ، أَوْ زَمِيلَاتِكِ فِي الْمَدْرَسَةِ.

٥ - إذا طلبت من والديك شيئاً، فلا تطلبيه أمام الناس وإذا لم يعطياك مطلوبك: فاسكتي، لأنهما أعرف بمصالحك، واحذري أن تغضبي، أو تمهمهي، أو تعبسي وجهك أو تلحي عليهما في تحصيل مطلوبك. وإذا جلست أمامهما: فأحسني هيئة جلوسك، ولا تضعي رجلاً على رجل ولا تجلسي وهما قائمان، ولا تمشي وهما وراءك، وإذا دعاك أحدهما: فأسرعي إلى إجابته، ولا تتباطئي، أو تتصامي، أو تسأمي من تكرار الدعوة، واحذري غاية الحذر: أن تسبي أبا أحد أو أمها، لئلا تسب والديك، فتكوني أنت السبب في ذلك وفي الحديث: من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه، فيسب أمه.

٦ - إذا كبرت فقومي بمساعدة والديك غاية استطاعتك: إما بمالك إذا كان عندك مال، وإما بقضاء حوائجهما، والقيام بإدارة شؤون المنزل: من طبخ، وتغسيل ثياب، وتنظيف قاعة، وغير ذلك، واعتني ببر أمك أكثر من أبيك، لأنها أعظم شفقة، وأشد منه تعباً في تربيتك.

وَإِذَا مَاتَ أَحَدُ الْوَالِدَيْنِ أَوْ كِلَاهُمَا: فَيَجِبُ عَلَى الْبِنْتِ أَنْ تَبَرَّهُمَا بِالدُّعَاءِ وَالْاِسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ عَنْهُمَا، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَإِهْدَاءِ ثَوَابِ ذٰلِكَ إِلَى رُوحِهِمَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِمَا؟ قَالَ: نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا. وَالْاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا. (وَمَعْنَى إِنْفَاذِ عَهْدِهِمَا: إِمْضَاءُ وَصِيَّتِهِمَا، وَمَا عَهِدَا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمَا).

٧ - إِذَا قُمْتِ بِبِرِّ وَالِدَيْكِ: نِلْتِ رِضَا اللهِ تَعَالَى، وَثَوَابَهُ الْعَظِيمَ، فَعِشْتِ سَعِيدَةً فِي الدَّارَيْنِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: رِضَا اللهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسُخْطُ اللهِ فِي سُخْطِ الْوَالِدَيْنِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَسَوْفَ يَبَرُّكِ أَوْلَادُكِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ.

وَأَمَّا عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ: فَمِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ. وَقَالَ أَيْضًا: إِيَّاكُمْ وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ، وَاللهِ لَا يَجِدُهَا عَاقٌّ، وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ. وَقَالَ أَيْضًا: مَلْعُونٌ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ.

٨ - وَإِذَا حَصَلَتْ مِنْكِ زَلَّةٌ نَحْوَ وَالِدَيْكِ: فَبَادِرِي بِطَلَبِ الْعَفْوِ مِنْهُمَا، مَا زِلْتِ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَإِلَّا فَسَوْفَ تَنْدَمِينَ نَدَمًا شَدِيدًا، وَعَاهِدِي نَفْسَكِ عَلَى أَنْ لَا تَعُودِي إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الْغَلْطَةِ، فَإِنَّ عُقُوبَةَ الْعُقُوقِ مُعَجَّلَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ وَفَاةِ الْوَالِدَيْنِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ مِنْهَا، مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ اللهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ.

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَطْلُبُ الْبَيْعَةَ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَقَالَ: مَا جِئْتُكَ حَتَّى أَبْكَيْتُ وَالِدَيَّ. فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِمَا، فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا.

٩ - لَا شَيْءَ أَسَرُّ لِلْوَالِدَيْنِ مِنْ أَنْ يَرَيَا بِنْتَهُمَا قُرَّةَ عَيْنٍ: بَارَّةً

مُطِيعَةً، أدِيْبَةً نَجِيبَةً، وَبِالْعَكْسِ لَا شَيْءَ أحْزَنُ لِقُلُوبِهِمَا: مِنْ أنْ يَرَيَا بِنْتَهُمَا عَاقَّةً مُعَانِدَةً، وَقِحَةً بَلِيْدَةً. فَاجْتَهِدِي أنْ تَكُوْنِي قُرَّةَ عَيْنٍ، وَاطْلُبِي مِنْهُمَا الدُّعَاءَ بِذَلِكَ، حَتَّى تَبْلُغِي غَايَةَ آمَالِكِ.

وَفِي الْحَدِيْثِ: دُعَاءُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، كَدُعَاءِ النَّبِيِّ لِأُمَّتِهِ.

---

٨ - قِصَصٌ تَطْبِيقِيَّةٌ.

١ - كَانَ سَيِّدُنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، بَارًّا بِوَالِدَيْهِ. وَلَمَّا بَلَغَ عُمْرُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، قَالَ لَهُ أبُوهُ:

« يَا بُنَيَّ إِنِّي أرَى فِي الْمَنَامِ أنِّي أذْبَحُكَ، فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ.

فَامْتَثَلَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ أمْرَ رَبِّهِ، وَأرَادَ أنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ، وَفِي هَذِهِ السَّاعَةِ الرَّهِيبَةِ تَذَكَّرَ سَيِّدُنَا إِسْمَاعِيلُ أُمَّهُ، فَقَالَ لِأبِيْهِ: يَا أبَتِ، أحْكِمْ رِبَاطِي، حَتَّى لَا أضْطَرِبَ، وَاكْشِفْ عَنِّي ثِيَابِي، حَتَّى لَا يُصِيبَهَا شَيْءٌ مِنْ دَمِي، فَتَرَاهُ أُمِّي، وَيَشْتَدَّ حُزْنُهَا. وَاقْرَأْ عَلَى أُمِّي السَّلَامَ، وَإِنْ رَأيْتَ أنْ تَرُدَّ قَمِيصِي عَلَيْهَا فَافْعَلْ، فَإِنَّ ذَلِكَ فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِقَلْبِهَا وَذِكْرَى

لِوَلِيْدِهَا.

فَصَرَعَهُ عَلَى جَبِيْنِهِ، وَوَضَعَ السِّكِّيْنَ عَلَى حَلْقِهِ، وَلٰكِنْ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيْهِ. بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالىٰ، وَفَدَاهُ بِكَبْشٍ مِنَ الْجَنَّةِ، فَذَبَحَهُ سَيِّدُنَا اِبْرَاهِيْمُ.

فَانْظُرِي اَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْمَحْبُوْبَةُ: كَيْفَ بِرُّ سَيِّدِنَا اِسْمَاعِيْلَ وَصَبْرُهُ! وَكَيْفَ امْتِثَالُ سَيِّدِنَا اِبْرَاهِيْمَ لِأَمْرِ رَبِّهِ! وَثَبَاتُهُ فِي هٰذَا الْبَلَاءِ الْمُبِيْنِ.

---

١ - كَانَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ زَيْنُ الْعَابِدِيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَثِيْرَ الْبِرِّ بِأُمِّهِ، حَتّٰى قَالَ لَهُ بَعْضُ اَصْحَابِهِ: اَنْتَ اَبَرُّ النَّاسِ بِأُمِّكَ، وَلِمَاذَا مَا نَرَاكَ تَأْكُلُ مَعَهَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، لِأَنِّيْ اَخَافُ اَنْ تَسْبِقَ يَدِي اِلٰى طَعَامٍ، قَدْ سَبَقَ اِلَيْهِ عَيْنَاهَا، وَعَزَمَتْ عَلٰى تَنَاوُلِهِ، فَاَكُوْنَ قَدْ عَقَقْتُهَا.

٢ - جَاءَ رَجُلٌ اِلٰى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَارَسُوْلَ اللهِ، هَاهُنَا غُلَامٌ قَدِ احْتُضِرَ، يُقَالُ لَهُ: قُلْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ، فَلَا يَسْتَطِيْعُ اَنْ يَقُوْلَهَا، قَالَ: اَلَيْسَ كَانَ يَقُوْلُهَا فِي حَالِ حَيَاتِهِ؟ قَالُوْا: بَلٰى. قَالَ: فَمَا مَنَعَهُ مِنْهَا عِنْدَ مَوْتِهِ؟ قَالَ:

فَنَهَضَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنَهَضْنَا مَعَهُ، حَتّٰى اَتَيْنَا الْغُلَامَ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، قُلْ: لَا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ، فَقَالَ: لَا اَسْتَطِيْعُ اَنْ اَقُوْلَهَا. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: بِعُقُوْقِي وَالِدَتِي، قَالَ: اَحَيَّةٌ هِيَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: اَحْضِرُوْهَا، فَحَضَرَتْ، فَقَالَ: اَرَاَيْتِ لَوْ اَنَّ نَارًا اُجِّجَتْ. فَقِيْلَ لَكِ: اِنْ لَمْ تَشْفَعِيْ لَهُ قَذَفْنَاهُ فِيْ هٰذِهِ النَّارِ؟ قَالَتْ: اِذَنْ كُنْتُ اَشْفَعُ لَهُ. قَالَ: فَاَشْهِدِي اللهَ تَعَالٰى، وَاَشْهِدِيْنَا: اَنَّكِ قَدْ رَضِيْتِ عَنْهُ. فَقَالَتْ: اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اُشْهِدُكَ، وَاُشْهِدُ رَسُوْلَكَ: اَنِّيْ قَدْ رَضِ عَنِ ابْنِيْ. فَقَالَ: يَا غُلَامُ، قُلْ: لَا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ، فَقَالَ: لَا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ. فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ اَنْقَذَهُ بِيْ مِنَ النَّارِ.

فَتَاَمَّلِيْ اَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْعَزِيْزَةُ: هٰذِهِ الْقِصَّةَ: تَعْلَمِيْ اَنَّ عُقُوْقَ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ لِسُوْءِ الْخَاتِمَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ مِنْهَا.

وَفِيْ رِوَايَةٍ: اَنَّ عَلْقَمَةَ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا كَثِيْرَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، وَلٰكِنَّهُ مَا نَفَعَهُ ذٰلِكَ، بِسَبَبِ عُقُوْقِهِ، وَهُوَ اَنَّهُ يَعْصِيْ اَوَامِرَ اُمِّهِ، وَيُطِيْعُ زَوْجَتَهُ، وَيُفَضِّلُهَا عَلٰى وَالِدَتِهِ.

وَفِي الْحَدِيث : ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ : الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ .

٤ - كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : اَسْلِمْ ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ ، وَهُوَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ، فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ : اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ .

فَانْظُرِي : كَيْفَ كَانَ هٰذَا الْغُلاَمُ ! حَيْثُ بَرَّ بِأَبِيهِ حَتَّى قُبَيْلَ وَفَاتِهِ ، وَبِذٰلِكَ وَفَّقَهُ اللهُ لِلإِسْلاَمِ ، فِي آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ عُمْرِهِ ، فَأَصْبَحَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمِنْ هٰذِهِ الْقِصَّةِ تَعْلَمِينَ : أَنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ ، سَبَبٌ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ .

٥ - كَانَ حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ بَارًّا بِأُمِّهِ ، وَلاَ يُخَالِفُ كَلاَمَهَا أَبَدًا ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ ، وَلَهُ تَلاَمِذَةٌ كَثِيرٌ وَذَاتَ مَرَّةٍ ، جَاءَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ ، وَهُوَ فِي أَثْنَاءِ الدَّرْسِ ، فَقَالَتْ لَهُ : قُمْ يَا حَيْوَةُ ، أَلْقِ الشَّعِيرَ لِلدَّجَاجِ ، فَلاَ يَتَثَاقَلُ وَلاَ يَتَبَاطَأُ ، بَلْ يَتْرُكُ الدَّرْسَ ، وَيُبَادِرُ إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِهَا .

٦ - وَمِنَ الْبَارِّينَ أَيْضًا : ذَرُّ بْنُ عُمَرَ الْهَمْدَانِيُّ ، وَمِنْ بِرِّهِ بِأَبِيهِ .

أَنَّهُ مَا مَشَى قَطُّ مَعَ أَبِيهِ نَهَارًا، إِلَّا مَشَى خَلْفَهُ، وَلَا مَشَى مَعَهُ لَيْلًا، إِلَّا مَشَى أَمَامَهُ، لِيَتَلَقَّى دُونَهُ الْأَخْطَارَ، وَلَا رَقِيَ سَطْحًا وَأَبُوهُ تَحْتَهُ.

---

٩ - مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكِ لِإِخْوَتِكِ وَأَخَوَاتِكِ؟

إِنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْكِ بَعْدَ وَالِدَيْكِ: هُمْ إِخْوَتُكِ وَأَخَوَاتُكِ فَاعْمَلِي بِهٰذِهِ الْآدَابِ، لِتَنَالِي رِضَا اللهِ ثُمَّ رِضَا وَالِدَيْكِ، وَتَعِيشِي مَعَهُمْ فِي سُرُورٍ وَهَنَاءٍ:

١ - أَنْ تَحْتَرِمِيهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحَالٍ، وَأَنْ تُحِبِّيهِمْ مَحَبَّةً صَادِقَةً: فَأَنْتِ وَهُمْ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُمْ يُحِبُّونَكِ، وَيَتَمَنَّوْنَ سَعَادَتَكِ، فَكُونِي مَعَهُمْ دَائِمًا فِي وِفَاقٍ وَاتِّحَادٍ، وَاحْتَرِزِي عَنْ أَسْبَابِ الْخِلَافِ وَالنِّزَاعِ بِأَنْ لَا تُصَدِّقِي كَلَامَ أَهْلِ الْحَسَدِ وَالنَّمِيمَةِ وَأَنْ لَا تُقَصِّرِي فِي حُقُوقِهِمْ. وَأَنْ تُسَامِحِيهِمْ إِذَا قَصَّرُوا فِي حُقُوقِكِ

٢ - وَأَنْ تَخُصِّي أَخَاكِ الْكَبِيرَ، وَأُخْتَكِ الْكَبِيرَةَ بِمَزِيدِ الْإِكْرَامِ وَالْاحْتِرَامِ، وَتَعْتَبِرِيهِمَا فِي مَقَامِ وَالِدَيْكِ. فَتَعْمَلِي بِنَصَائِحِهِمَا.

وَلاَ تُعَانِدِي أَوَامِرَهُمَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: حَقُّ كَبِيرِ الْإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ.

٣ - وَأَنْ تَرْحَمِي أَخَاكِ الصَّغِيرَ، وَأُخْتَكِ الصَّغِيرَةَ، وَتُعَامِلِيهِمَا بِالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ، مُعَامَلَةَ وَالِدَيْكِ لَكِ، وَذَلِكِ بِأَنْ تُفَرِّحِيهِمَا، وَتَبْتَعِدِي عَنْ إِيذَائِهِمَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ دَارًا يُقَالُ لَهَا: دَارُ الْفَرَحِ. لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ فَرَّحَ الصِّبْيَانَ.

٤ - سَاعِدِي إِخْوَتَكِ وَأَخَوَاتِكِ، بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتِ مِنَ الْمُسَاعَدَةِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى. وَتَنَازَلِي دَائِمًا مَعَهُمْ، وَكُونِي صَابِرَةً عَلَيْهِمْ، وَإِذَا غَلِطُوا: فَنَبِّهِيهِمْ عَلَى غَلَطِهِمْ، بِلُطْفٍ وَلِينٍ. فَإِنَّ الْكَلَامَ اللَّطِيفَ، يَتَقَبَّلُهُ السَّامِعُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَالْكَلَامَ الشَّدِيدَ بِخِلَافِ ذَلِكِ، وَيُورِثُ الْوَحْشَةَ وَالْمُقَاطَعَةَ وَاحْذَرِي أَنْ تَتَخَاصَمِي، أَوْ تَتَشَاتَمِي مَعَهُمْ، أَوْ تَنُمِّي بَيْنَهُمْ وَاجْتَنِبِي أَيْضًا، أَنْ تَمْزَحِي مَعَهُمْ مِزَاحًا غَيْرَ لَائِقٍ. أَوْ تَأْخُذِي مِنْهُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ رِضَاهُمْ. أَوْ تُقَاطِعِيهِمْ، أَوْ تُسِيئِي الظَّنَّ بِهِمْ.

٥ - وَاَخُوكِ هُوَ السَّاعِدُ الْأَيْمَنُ لَكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى خِطَابًا لِسَيِّدِنَا مُوسَى فِي حَقِّ اَخِيهِ سَيِّدِنَا هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِاَخِيكَ»، وَهُوَ السِّلَاحُ الَّذِي تُدَافِعِينَ بِهِ اَعْدَاءَكِ فِي مُعْتَرَكِ الْحَيَاةِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

اَخَاكَ اِنَّ مَنْ لَا اَخَا لَهُ
كَسَاعٍ اِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحِ

---

١٠ - اَلْاِتِّحَادُ يُورِثُ الْقُوَّةَ

يُحْكَى اَنَّ رَجُلًا لَهُ اَوْلَادٌ، وَلَمَّا قَرُبَ حُضُورُ اَجَلِهِ: دَعَاهُمْ وَاَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، حُزْمَةً مِنَ الرِّمَاحِ، وَاَمَرَهُ بِكَسْرِهَا، فَحَاوَلَ كَسْرَهَا بِكُلِّ قُوَّتِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَحَلَّ الرَّجُلُ الْحُزْمَةَ، وَاَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ رُمْحًا، فَكَسَرَهُ بِسُهُولَةٍ، فَقَالَ لَهُمْ مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ هٰذِهِ الْحُزْمَةِ، اِنِ اتَّحَدْتُمْ وَاجْتَمَعْتُمْ: لَمْ يَقْدِرْ عَدُوُّكُمْ اَنْ يَغْلِبَكُمْ، وَاِنِ اخْتَلَفْتُمْ وَتَفَرَّقْتُمْ، سَهُلَ عَلَى عَدُوِّكُمْ اَنْ يَهْزِمَكُمْ، مِثْلَ هٰذِهِ الرِّمَاحِ الْمُفَكَّكَةِ الَّتِي قَدَرْتُمْ اَنْ تَكْسِرُوهَا، بِلَا تَعَبٍ وَلَا مَشَقَّةٍ، ثُمَّ اَنْشَدَ قَائِلًا:

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِيَّ إِذَا اعْتَرَى
خَطْبٌ وَلَا تَتَفَرَّقُوا آحَادَا
تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّرًا
وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادَا

---

١١ - مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكِ لِأَقَارِبِكِ ؟

١ - إِنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْكِ بَعْدَ وَالِدَيْكِ وَإِخْوَتِكِ: هُمْ أَقَارِبُكِ وَقَرِيبَاتُكِ. وَفِي الْحَدِيثِ: الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ. عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ. ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ. وَلَهُمْ حُقُوقٌ عَظِيمَةٌ عَلَيْكِ، يَلْزَمُكِ أَنْ تُؤَدِّيهَا إِلَيْهِمْ :

٢ - وَذَلِكَ: بِأَنْ تُعَامِلِيهِمْ مُعَامَلَتَكِ لِإِخْوَتِكِ، فَتَحْتَرِمِي كِبَارَهُمْ، وَتَرْحَمِي صِغَارَهُمْ، وَتُقَابِلِيهِمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ مُقَابَلَةً حَسَنَةً، بِكُلِّ بَشَاشَةٍ وَابْتِسَامٍ، وَتَتَكَلَّمِي مَعَهُمْ بِكَلَامٍ جَمِيلٍ: لَيْسَ فِيهِ كِبْرٌ وَلَا فَخْرٌ. وَإِذَا أَمَرُوكِ بِأَمْرٍ: فَأَطِيعِي وَلَا تُعَانِدِي، وَكُونِي سَهْلَةَ الْأَخْلَاقِ. وَإِذَا احْتَاجُوا إِلَى شَيْءٍ: فَبَادِرِي إِلَى مُسَاعَدَتِهِمْ جُهْدَ اسْتِطَاعَتِكِ.

٣- وَلَا تَتْرُكِي زِيَارَتَهُمْ مِنْ حِيْنٍ إِلَى آخَرَ، وَلَا سِيَّمَا فِي الْأَوْقَاتِ الْمُنَاسِبَةِ كَأَيَّامِ الْأَعْيَادِ وَالْأَفْرَاحِ، أَوْ عِنْدَ وُقُوْعِ الْمَصَائِبِ وَالْأَحْزَانِ، فَإِذَا مَرِضَ قَرِيْبُكِ أَوْ قَرِيْبَتُكِ، فَبَادِرِي إِلَى بَيْتِهَا لِعِيَادَتِهَا، وَالدُّعَاءِ لَهَا بِالْعَافِيَةِ. وَإِذَا انْتَقَلَتْ إِلَى رَحْمَةِ اللّٰهِ فَتَعَجَّلِي بِالْمَسِيْرِ إِلَى بَيْتِهَا، لِلدُّعَاءِ لَهَا بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَلِتَعْزِيَةِ أَوْلَادِهَا وَأَهْلِهَا وَمُسَاعَدَتِهِمْ. فَبِذٰلِكِ يَفْرَحُ مِنْكِ أَقَارِبُكِ، لِأَنَّكِ تَفْرَحِيْنَ لِفَرَحِهِمْ، وَتَحْزَنِيْنَ لِحُزْنِهِمْ، وَيَعْرِفُوْنَ أَنَّكِ بِنْتٌ مُهَذَّبَةٌ قَائِمَةٌ بِوَاجِبَاتِهَا نَحْوَ أَقَارِبِهَا.

٤- اِتَّحِدِي مَعَ قَرِيْبَتِكِ، وَاجْتَنِبِي كُلَّ شَيْءٍ يُسَبِّبُ الْمُقَاطَعَةَ وَالْمُخَاصَمَةَ، وَاحْذَرِي أَنْ تَسْمَعِي كَلَامَ النَّمَّامَةِ، فَإِنَّهَا تُرِيْدُ أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَكِ وَبَيْنَ قَرَابَتِكِ. وَسَامِحِيْهِمْ إِذَا أَسَاؤُا إِلَيْكِ، وَلَا تَحْقِدِي عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ تِلْكَ الْإِسَاءَةِ، وَإِذَا أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَةٍ، فَأَظْهِرِي سُرُوْرَكِ بِهَا. وَلَا تَحْسُدِيْهِمْ عَلَيْهَا. فَإِذَا تَخَلَّقْتِ بِهٰذِهِ الْآدَابِ: فَلَا جَرَمَ أَنْ تَعِيْشِي مَعَ أَقَارِبِكِ فِي وِئَامٍ وَسَلَامٍ. وَصَفَاءٍ وَهَنَاءٍ. فَسَعَادَةُ الْإِنْسَانِ بِسَعَادَةِ أَهْلِهِ وَأُسْرَتِهِ، وَهُمْ لَهُ مِثْلُ الْجَنَاحِ لِلطَّائِرِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ فَاعْلَمْ جَنَاحُهُ
وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِ؟

٥ - وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ، وَقَرَنَهُمْ بِالْوَالِدَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى» وَقَالَ تَعَالَى: «وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ أَيْ لِيُحْسِنَ إِلَى أَقَارِبِهِ. وَالَّتِي تُحْسِنُ إِلَى أَقَارِبِهَا: يُوَسِّعُ اللهُ عَلَيْهَا فِي رِزْقِهَا، وَيُطِيلُ عُمْرَهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ (أَيْ يُطَوَّلَ فِي عُمْرِهِ) فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ. وَأَيْضًا: يَغْفِرُ اللهُ ذُنُوبَهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَبِرَّهَا.

٦ - وَأَمَّا الَّتِي تُسِيءُ إِلَى أَقَارِبِهَا وَتُؤْذِيهِمْ، فَإِنَّهَا بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، وَتُمْنَعُ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ. وَيُعَجِّلُ اللهُ لَهَا الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا. وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ. كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ مِنْ أَنْ يُعَجِّلَ

اللهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ اللهُ لَهُ فِي الآخِرَةِ: مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ.

٧ - إِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ أَقَارِبُكَ مَثَلاً: فَاصْبِرْ، وَقَابِلْ إِسَاءَتَهُمْ بِالإِحْسَانِ. وَفِي الحَدِيثِ: إِنَّ رَجُلاً قَالَ: يَارَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً، أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ؛ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ. (وَمَعْنَى تُسِفُّهُمُ المَلَّ: تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الحَارَّ، وَهُوَ تَشْبِيهٌ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الإِثْمِ العَظِيمِ. بِسَبَبِ أَذِيَّتِكَ. مِثْلَ الَّذِي يَتَأَلَّمُ إِذَا أَكَلَ الرَّمَادَ الحَارَّ. وَمَعْنَى ظَهِيرٌ: مُعِينٌ) أَيْ أَنَّ اللهَ يَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ.

---

١٢ - أَبُو طَلْحَةَ الأَنْصَارِيُّ وَأَقَارِبُهُ

١ - وَرَدَ فِي الحَدِيثِ: أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ. وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ، إِلَيْهِ بَيْرُحَاءُ (وَهِيَ حَدِيقَةُ نَخْلٍ) وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ،

وَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيْهَا طَيِّبٍ. فَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوْا مِمَّا تُحِبُّوْنَ»، جَاءَ أَبُوْ طَلْحَةَ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ، «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوْا مِمَّا تُحِبُّوْنَ»، وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بِيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلّٰهِ تَعَالَى، أَرْجُوْ بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، فَضَعْهَا يَا رَسُوْلَ اللهِ، حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ. فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: بَخٍ، ذٰلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذٰلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّيْ أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا لِلْأَقْرَبِيْنَ. فَقَالَ أَبُوْ طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُوْلَ اللهِ، فَقَسَمَهَا أَبُوْ طَلْحَةَ فِيْ أَقَارِبِهِ وَبَنِيْ عَمِّهِ.

قِصَّةٌ أُخْرٰى

٢ – كَانَ لِسَيِّدَتِنَا مَيْمُوْنَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَلِيْدَةٌ (أَيْ أَمَةٌ) فَأَعْتَقَتْهَا، وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى بَيْتِهَا، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُوْلَ اللهِ أَنِّيْ أَعْتَقْتُ وَلِيْدَتِيْ؟ قَالَ: أَوَفَعَلْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّكِ

لَوْ اَعْطَيْتِيْهَا اَخْوَالَكِ: كَانَ اَعْظَمَ لِاَجْرِكِ.

قِصَّةٌ اُخْرَى

(٢) بَيْنَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ جَالِسِيْنَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ اِذْ قَالَ: لَا يُجَالِسُنَا قَاطِعُ رَحِمٍ فَقَامَ فَتًى مِنَ الْحَلْقَةِ فَاَتَى خَالَةً لَهُ، قَدْ كَانَ بَيْنَهُمَا بَعْضُ نِزَاعٍ، فَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ عَادَ اِلَى الْمَجْلِسِ، فَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: اِنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ، وَفِيْهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ.

١٣ - مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكِ لِخَادِمَتِكِ ؟

٣ - يَجِبُ عَلَيْكِ اَنْ تُعَامِلِيْ خَادِمَتَكِ، مُعَامَلَةً حَسَنَةً: بِاَنْ تُكَلِّمِيْهَا بِلُطْفٍ، اِذَا اَرَدْتِ مِنْهَا شَيْئًا، وَلَا تُؤْذِيْهَا بِالْكَلِمَاتِ الْقَاسِيَةِ وَلَا تَنْهَرِيْهَا، اَوْ تَتَكَبَّرِيْ عَلَيْهَا، وَاَنْ تُعَرِّفِيْهَا غَلَطَهَا اِذَا غَلِطَتْ: بِرِفْقٍ وَلِيْنٍ، ثُمَّ تُسَامِحِيْهَا، وَمَعْلُوْمٌ اَنَّ الْاِنْسَانَ: مَحَلُّ الْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ.

٢ - وَاِذَا نَادَيْتِ خَادِمَتَكِ فَلَمْ تُجِبْكِ حَالًا: اَوْ اَمَرْتِهَا بِشَيْءٍ

فابطأت: فلا تعجلي الى عتابها، فلعلها ما سمعت صوتك، او كانت مشغولة، وكوني سمحة الاخلاق. تحتملين ما يصدر عن الخادمات من هفوات، لأنهن غالبا غير مؤدبات، وكذلك سامحيهن اذا كسرن شيئا من الأواني، ففي الحديث: لا تضربوا اماءكم على كسر انائكم فان لها آجالا كآجالكم. واذا احسنت الخادمة في خدمتك: فلا تنسي ان تشكري لها احسانها وتكافئيها على ذلك. قال الله تعالى: «هل جزاء الاحسان الا الاحسان»

٣ ـ لا تطلعي الخادمة على شيء من اسرار بيتك كيلا تتشوف نفسها الى السرقة، ولا تعتمدي عليها في كل حال، وكوني منها على حذر، ولا تجلسي معها للمزاح، والكلام الفارغ، حتى لا تأخذي من طبعها ولا يسقط قدرك عندها ولا تتجرأ عليك وتسيء الأدب اليك. واما الجلوس معها لحاجة: كنصيحتها او تعليمها امور الدين: فلا بأس بذلك، بل هو عمل مطلوب.

٤ ـ واياك ان تظلمي الخادمة: بان تكلفيها شغلا فوق طاقتها، او لا تعطيها اجرها، او تماطليها فيه، وفي الحديث: أعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه. او تنقصيها عن الاجر الذي تستحقه. وفي الحديث: ظلم الاجير

أجره من الكبائر، أو بأن تضربها بغير حق. وفي الحديث: من ضرب سوطا ظلما؛ اقتص منه يوم القيامة.

---

١٤ - هكذا التسامح مع الخادم

١ - كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نهر خادما قط. قال أنس بن مالك، رضي الله عنه: خدمت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لي: أف قط ولا قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته، لم تركته؟ ولا لامني نساؤه إلا قال: دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر.

٢ - وروي أن الإمام عليا كرم الله وجهه: دعا غلاما له فلم يجبه، فدعاه ثانيا وثالثا، فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا، فقال: أما تسمع يا غلام؟ فقال: بلى. قال: فلم لم تجبني حين دعوتك؟ قال: لأني أمنت عقوبتك فتكاسلت. فقال؟ أمض فأنت حر لوجه الله.

٣ وروي عن قيس بن عاصم: أنه بينما هو جالس ذات يوم في داره، إذ جاءته جارية، بسفود عليه شواء،

فَسَقَطَ مِنْ يَدِهَا، فَوَقَعَ عَلَى ابْنٍ لَهُ فَمَاتَ، فَدَهِشَتِ الْجَارِيَةُ، فَقَالَ لَهَا قَيْسٌ: لَا رَوْعَ عَلَيْكِ. فَعَفَا عَنْهَا، وَاَعْتَقَهَا لِلّٰهِ تَعَالَى.

---

١٥ - مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكِ لِجِيرَانِكِ؟

١ - يَجِبُ عَلَيْكِ اَنْ تَتَخَلَّقِي مَعَ جِيرَانِكِ بِالْاَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، لِاَنَّ لَهُمْ حَقًّا كَبِيرًا • قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ,, وَاعْبُدُوا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِيْنِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ،، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: اَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا. مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ اِلَى جَارِهِ.

٢ - فَاحْتَرِمِي جِيرَانَكِ وَاحْذَرِي غَايَةَ الْحَذَرِ مِنْ اَذِيَّتِهِمْ: بِاَنْ تُخَاصِمِيهِمْ، اَوْ تَتَكَبَّرِي عَلَيْهِمْ، اَوْ تَشْتِمِيهِمْ، اَوْ تَسْتَهْزِئِي بِهِمْ، وَاحْذَرِي اَيْضًا: اَنْ تُؤْذِيهِمْ بِرَفْعِ صَوْتِكِ، وَلَا سِيَّمَا وَقْتَ نَوْمِهِمْ اَوْ اِذَا كَانَ عِنْدَهُمْ مَرِيضٌ. اَوْ بِالتَّجَسُّسِ عَلَيْهِمْ مِنَ السُّطُوحِ، اَوْ مِنْ ثُقُوبِ الْجُدْرَانِ وَالْاَبْوَابِ، لِتَعْرِفِي اَحْوَالَهُمْ اَوْ لِتَسْتَمِعِي اِلَى كَلَامِهِمْ. قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ,, وَلَا تَجَسَّسُوا،،.

وَفِي الْحَدِيثِ: مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ: صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ (أَيِ الرَّصَاصُ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٣ - وَإِذَا فَضَلَ عِنْدَكِ شَيْءٌ مِنْ طَعَامٍ: فَأَرْسِلِيهِ إِلَى جِيرَانِكِ وَابْدَئِي بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ. وَفِي الْحَدِيثِ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ: إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا. وَإِذَا صَنَعْتِ مَرَقَةً فَلَا تُؤْذِيهِمْ بِقُتَارِ قِدْرِكِ: إِلَّا أَنْ تَغْرِفِي لَهُمْ مِنْهَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ. وَالْقُتَارُ: رَائِحَةُ اللَّحْمِ وَالشِّوَاءِ. وَوَرَدَ أَيْضًا: مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ: لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ (أَيْ ظِلْفَهَا).

٤ - وَاعْلَمِي: أَنَّ الْجِيرَانَ يَنْقَسِمُونَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: جَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ وَجَارٌ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ. فَالْجَارُ الَّذِي لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ: الْجَارُ الْمُسْلِمُ، ذُو الرَّحِمِ فَلَهُ حَقُّ الْجِوَارِ، وَحَقُّ الْإِسْلَامِ، وَحَقُّ الرَّحِمِ. وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَالْجَارُ الْمُسْلِمُ، لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ. وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ: فَالْجَارُ الْمُشْرِكُ.

٥ - وَإِيذَاءُ الْجَارِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ. (أَيْ ظُلْمَهُ وَشَرَّهُ) وَإِذَا ابْتُلِيتِ بِجِيرَانٍ أَشْرَارٍ: فَاصْبِرِي عَلَى أَذَاهُمْ، وَإِيَّاكِ أَنْ تُجَارِيَهُمْ فِي سُوءِ أَخْلَاقِهِمْ حَتَّى تَسْلَمِي مِنْ شُرُورِهِمْ، وَابْتَعِدِي عَنْ مُجَالَسَةِ بَنَاتِهِمْ، لِئَلَّا تَكْتَسِبِي مِنْ طِبَاعِهِنَّ الْقَبِيحَةِ، فَتَكُونِي شِرِّيرَةً مِثْلَهُنَّ. كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا جَارَيْتَ فِي خُلُقٍ دَنِيئًا
فَأَنْتَ وَمَنْ تُجَارِيهِ سَوَاءُ

---

١٦ - قِصَصٌ تَطْبِيقِيَّةٌ

١ - كَانَتِ امْرَأَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: عَابِدَةٌ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ وَلٰكِنَّهَا سَيِّئَةُ الْخُلُقِ: تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَأَخْبَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِخَبَرِهَا فَقَالَ: لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

٢ - قَالَ مُجَاهِدٌ: كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَغُلَامٌ لَهُ يَسْلَخُ شَاةً، فَقَالَ لَهُ: يَا غُلَامُ إِذَا سَلَخْتَ فَابْدَأْ بِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ حَتَّى

قَالَ ذٰلِكَ مِرَارًا. فَقُلْتُ لَهُ: كَمْ تَقُولُ هٰذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَزَلْ يُوصِينَا بِالْجَارِ، حَتَّى خَشِينَا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ.

٣ - وَشَكَا بَعْضُهُمْ كَثْرَةَ الْفَأْرِ فِي دَارِهِ، فَقِيلَ لَهُ: لَوِ اقْتَنَيْتَ هِرًّا، فَقَالَ: أَخْشَى أَنْ يَسْمَعَ الْفَأْرُ صَوْتَ الْهِرِّ، فَيَهْرُبَ إِلَى دُورِ الْجِيرَانِ، فَأَكُونَ قَدْ أَحْبَبْتُ لَهُمْ: مَا لَا أُحِبُّ لِنَفْسِي.

٤ - وَكَانَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ، رَحِمَهُ اللهُ، لَهُ جَارٌ حَسُودٌ: يُؤْذِيهِ وَيَغْتَابُهُ، وَلٰكِنَّهُ صَابِرٌ عَلَيْهِ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ: لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَعَاتَبَهُ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى كَثْرَةِ احْتِمَالِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى جَارِهِ، فَقَالَ: إِنَّ لِلْجِوَارِ حَقًّا.

---

١٧ - مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكِ لِأُسْتَاذَتِكِ؟

أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْأَدِيبَةُ: كَمَا أَنَّ وَالِدَيْكِ اللَّذَيْنِ يُرَبِّيَانِ جِسْمَكِ، وَيَحْفَظَانِكِ مِنْ نَارِ الدُّنْيَا لَهُمَا حَقٌّ عَظِيمٌ عَلَيْكِ فَكَذٰلِكَ أُسْتَاذَتُكِ، لَهَا فَضْلٌ كَبِيرٌ عَلَيْكِ، فَإِنَّهَا تَحْفَظُكِ مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ: تُرَبِّي رُوحَكِ، وَتُهَذِّبُ أَخْلَاقَكِ، وَتُنَوِّرُ فِكْرَكِ، وَتُعَلِّمُكِ الْعِلْمَ

النَّافِعَ، فَيَجِبُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْوَفِيَّةُ: أَنْ تُحِبِّيهَا، وَتُعَظِّمِيهَا، وَتُفَرِّحِي قَلْبَهَا، وَتُعَامِلِيهَا بِهٰذِهِ الْآدَابِ:

١ ـ أَنْ تُذْعِنِي لِنَصَائِحِهَا، وَتَخْضَعِي لِأَوَامِرِهَا، لَا خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، وَلٰكِنْ قِيَامًا بِالْوَاجِبِ، عَنْ إِخْلَاصٍ مِنْ قَلْبِكِ كَمَا يُذْعِنُ الْمَرِيضُ لِلطَّبِيبِ الشَّفِيقِ، وَتَسْتَقْبِلِي كُلَّ مَا تُلْقِي عَلَيْكِ مِنَ الدُّرُوسِ: بِحُسْنِ الْإِصْغَاءِ وَالشُّكْرِ وَالْفَرَحِ، وَأَنْ تَتَوَاضَعِي لَهَا، وَتَطْلُبِي الثَّوَابَ وَالشَّرَفَ بِخِدْمَتِهَا وَتَشْعُرِي دَائِمًا: أَنَّكِ مَمْنُونَةٌ مِنْ أُسْتَاذَتِكِ، وَأَنَّكِ لَا تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تُجَازِيهَا، مَهْمَا أَحْسَنْتِ إِلَيْهَا. وَتَحْذَرِي غَايَةَ الْحَذَرِ: مِنْ أَنْ تَعْتَرِضِي عَلَيْهَا، أَوْ تُعَانِدِيهَا، أَوْ تَتَكَبَّرِي عَلَيْهَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ التَّمَلُّقُ: إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ. وَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ: أَنَا عَبْدُ مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا وَاحِدًا: إِنْ شَاءَ بَاعَ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَ، وَإِنْ شَاءَ اسْتَرَقَّ.

وَأَمَّا الْكِبْرُ وَالْعِنَادُ: فَسَبَبٌ لِحِرْمَانِ الْعِلْمِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالِي.

كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

وَالتِّلْمِيذَةُ الأَدِيبَةُ الْمُتَوَاضِعَةُ: تَنَالُ الْعِلْمَ وَتَنْتَفِعُ بِهِ. وَعَكْسُهَا الْوَقِحَةُ الْمُتَكَبِّرَةُ، وَإِنْ نَالَتْ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ: فَلَا تَنْتَفِعُ بِهِ فِي نَفْسِهَا، وَلَا تَنْفَعُ بِهِ غَيْرَهَا، بَلْ يَضُرُّهَا الْعِلْمُ، وَيَزِيدُهَا كِبْرًا وَسُوءَ خُلُقٍ.

وَفِي الْحَدِيثِ: مَنِ ازْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا.

وَإِنَّ مِنْ نَصَائِحِ الأُسْتَاذَةِ: أَنْ تَنْوِي بِطَلَبِ الْعِلْمِ رِضَا اللهِ، وَالدَّارَ الآخِرَةَ، وَإِحْيَاءَ الدِّينِ، وَنَفْعَ الْمُسْلِمِينَ وَتَنْوِي بِهِ الشُّكْرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعَقْلِ، وَصِحَّةِ الْبَدَنِ، وَلَا تَقْصِدِي بِهِ طَلَبَ الْمَدْحِ وَالْجَاهِ عِنْدَ النَّاسِ، أَوْ جَمْعَ حُطَامِ الدُّنْيَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ: أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ.

وَمِنْ نَصَائِحِهَا أَيْضًا: أَنْ تَجْتَهِدِي غَايَةَ الاجْتِهَادِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ: فَتَحَفَّظِي دُرُوسَكِ كُلَّهَا، وَتُرَاجِعِيهَا فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ لَا تَكْسَلِي، فَإِنَّ الْفَتَاةَ الْكَسْلَى: بَعِيدَةٌ عَنِ الْخَيْرِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أُطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
أَبْعَدَ الْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلْ

وَأَنْ لَا تُضَيِّعِي أَوْقَاتَكِ سُدًى، فَإِنَّهَا أَغْلَى مِنَ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ وَإِذَا فَاتَتْ: فَلَا تَعُودُ أَبَدًا، وَأَنْ تَعْتَنِي بِنَظَافَةِ كُتُبِكِ، وَأَدَوَاتِكِ وَتُرَتِّبِيهَا فِي مَحَلِّهَا، وَتُوَاظِبِي عَلَى الْحُضُورِ فِي الْمَدْرَسَةِ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ، وَلَا تَتَأَخَّرِي إِلَّا لِعُذْرٍ صَحِيحٍ، وَأَنْ تَسْتَمِعِي إِلَى مَا تُلْقِيهِ مِنَ الدُّرُوسِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ، حَتَّى تَفْهَمِيهَا بِسُرْعَةٍ وَلَا تُتْعِبِي أُسْتَاذَتَكِ بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ فَاعْمَلِي بِهٰذِهِ النَّصَائِحِ النَّافِعَةِ.

٢ - وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَ الْأُسْتَاذَةِ أَنْ تَقُومِي لَهَا إِذَا كُنْتِ جَالِسَةً، إِحْتِرَامًا لَهَا وَتَعْظِيمًا. وَلَا تَجْلِسِي حَتَّى تَأْذَنَ لَكِ فِي الْجُلُوسِ، فَتَجْلِسِي أَمَامَهَا بِأَدَبٍ، وَلَا تَتَقَدَّمِي عَلَيْهَا فِي الْكَلَامِ، أَوْ تَقْطَعِي عَلَيْهَا كَلَامَهَا أَوْ تَأْمُرِي وَتَنْهِي أَحَدًا بِحَضْرَتِهَا وَإِذَا لَمْ تَفْهَمِي مَسْأَلَةً فَمِنَ الْأَدَبِ أَنْ تُقَدِّمِي إِلَيْهَا السُّؤَالَ بِلُطْفٍ وَاحْتِرَامٍ: بِأَنْ تَرْفَعِي أُصْبُعَكِ أَوَّلًا، وَلَا تَتَكَلَّمِي حَتَّى تَأْذَنَ لَكِ فِي الْكَلَامِ، وَإِذَا سَأَلَتْكِ عَنْ شَيْءٍ فَمِنَ الْأَدَبِ أَيْضًا: أَنْ تَقُومِي، وَتُجِيبِي عَلَى سُؤَالِهَا بِجَوَابٍ حَسَنٍ وَلَا تُبَادِرِي بِالْجَوَابِ

إذا وجهت السؤال إلى غيرك

٤ - وأن تسلمي عليها، وتصافحيها كل يوم في المدرسة، وتقابليها بوجه بسام، وأن تزوريها في بيتها، خصوصاً في الأعياد، أو إذا مرضت، وتسأليها عن صحتها، وتدعي لها بالعافية وأن تساعديها على قضاء حاجاتها، وتشاوريها في أمورك. فتعملي بما تشير به عليك، وأن لا تناديها باسمها، بل بكلمة الأستاذة ولا تمشي أمامها، أو توليها ظهرك، ولا تجلسي في محلها، أو تأخذي كتابها بغير إذنها، وأن لا تكثري عليها الكلام، ولا تفشي لها سراً، ولا تغتابي عندها أحداً، ولا تقولي لها: إن فلانة قالت خلاف قولك.

٥ - وأن لا تستحي إذا سألتك عن فهم مسألة وأنت لم تفهميها: أن تصرحي لها بالحقيقة، حتى لا تأثمي بالكذب، ويفوتك فهم تلك المسألة، ولا تغضبي إذا عاتبتك، بل ينبغي أن تسكتي، وتفرحي بذلك، لأنها ما تعاتبك إلا لمحبتها لك، لتقومي بواجباتك، وسوف تشكرين لها على ذلك العتاب إذا كبرت.

ومن الخطأ الكبير: أن تظني أن أستاذتك تبغضك،

بِسَبَبِ عِتَابِهَا لَكِ. فَلَا تُسِيءُ الظَّنَّ بِأُسْتَاذَتِهَا: إِلَّا التِّلْمِيذَةُ الْوَقِحَةُ، الْمَحْرُومَةُ مِنَ الْعِلْمِ.

٦ - إِنَّ مِنَ الْوَفَاءِ لِأُسْتَاذَتِكِ: أَنْ تَذْكُرِي إِحْسَانَهَا وَلَا تَنْسَيْ جَمِيلَهَا، وَلَوْ بَعْدَ خُرُوجِكِ. أَوْ خُرُوجِهَا مِنَ الْمَدْرَسَةِ، وَمِنْ وَفَاءِ التِّلْمِيذَةِ أَيْضًا بَعْدَ وَفَاةِ أُسْتَاذَتِهَا: أَنْ تَدْعُوَ لَهَا بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ. وَتَقْرَأَ الْقُرْآنَ، وَتَتَصَدَّقَ عَنْهَا وَتُهْدِيَ ثَوَابَ ذٰلِكَ إِلَى رُوحِهَا، فَإِنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهَا. كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ.

---

١٨ - قِصَصٌ تَطْبِيقِيَّةٌ

١ - كَانَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ مُتَأَدِّبًا جِدًّا أَمَامَ أُسْتَاذِهِ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُمَا اللهُ، حَتَّى قَالَ: كُنْتُ أَصْفَحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ، صَفْحًا رَقِيقًا، هَيْبَةً لَهُ، لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقْعَهَا.

---

٢ - وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ يُعَظِّمُ أُسْتَاذَهُ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ تَمَامَ التَّعْظِيمِ، وَيَقُولُ: وَاللهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ، وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ، وَكَانَ أُسْتَاذُهُ يُحِبُّهُ غَايَةَ

غَايَةَ الْمَحَبَّةِ، وَيَقُولُ لَهُ: يَا رَبِيعُ، لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أُطْعِمَكَ الْعِلْمَ لَأَطْعَمْتُكَ إِيَّاهُ.

---

٢ - وَضَعَ هَارُونُ الرَّشِيدُ وَلَدَيْهِ الْأَمِينَ وَالْمَأْمُونَ، عِنْدَ أُسْتَاذٍ عَلَّامَةٍ، اسْمُهُ الْكِسَائِيُّ، فَقَامَ الْأُسْتَاذُ ذَاتَ يَوْمٍ لِيَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِمَا، فَتَسَابَقَا إِلَى نَعْلَيْهِ وَتَنَازَعَا عَلَى تَقْدِيمِهِمَا إِلَيْهِ، ثُمَّ اصْطَلَحَا، عَلَى أَنْ يُقَدِّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدَةً مِنَ النَّعْلَيْنِ، فَسَمِعَ الرَّشِيدُ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَعَزُّ النَّاسِ؟ قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: لَا، بَلْ أَعَزُّ النَّاسِ مَنْ يَتَسَابَقُ أَوْلَادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى تَقْدِيمِ نَعْلَيْهِ فَاسْتَعْظَمَ الْأُسْتَاذُ الْأَمْرَ، وَظَنَّ أَنَّهُ أَخْطَأَ فَأَرَادَ أَنْ يَمْنَعَهُمَا مِنْ ذَلِكَ فِي الْمَرَّةِ الْأُخْرَى. فَقَالَ الرَّشِيدُ: لَوْ مَنَعْتَهُمَا لَعَاتَبْتُكَ عِتَابًا شَدِيدًا فَإِنَّهُمَا لَمْ يَفْعَلَا شَيْئًا يُسْقِطُ مِنْ قَدْرِهِمَا، بَلْ إِنَّهُ يَزِيدُ فِي شَرَفِهِمَا. وَقَدْ كَافَأَتْهُمَا عَلَى أَدَبِهِمَا: عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَلَكَ عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، عَلَى حُسْنِ تَأْدِيبِكَ لَهُمَا.

٤ - وَحُكِيَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيْدَ أَيْضًا: بَعَثَ أَحَدَ أَبْنَائِهِ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ، لِيُعَلِّمَهُ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ. فَرَآهُ يَوْمًا يَتَوَضَّأُ وَيَغْسِلُ رِجْلَهُ، وَابْنُ الْخَلِيفَةِ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى رِجْلِهِ فَعَاتَبَ الْأَصْمَعِيَّ فِي ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا بَعَثْتُهُ إِلَيْكَ لِتُعَلِّمَهُ وَتُؤَدِّبَهُ، فَلِمَاذَا لَمْ تَأْمُرْهُ: بِأَنْ يَصُبَّ الْمَاءَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ، وَيَغْسِلَ بِالْأُخْرَى رِجْلَكَ؟

---

١٩ - مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكِ لِزَمِيلَاتِكِ؟

يَجِبُ عَلَيْكِ أَنْ تُرَاعِي آدَابَ الصُّحْبَةِ نَحْوَ التِّلْمِيذَاتِ اللَّاتِي يَتَعَلَّمْنَ مَعَكِ. فِي مَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَا سِيَّمَا تِلْمِيذَاتِ فَصْلِكِ، لِأَنَّ رَابِطَةَ التَّعْلِيمِ جَمَعَتْ بَيْنَكِ وَبَيْنَهُنَّ، فَلَهُنَّ حُقُوقٌ زَائِدَةٌ عَلَى حُقُوقِ غَيْرِهِنَّ. مِنْ سَائِرِ صَدِيقَاتِكِ، فَاعْمَلِي بِالْآدَابِ الْآتِيَةِ:

١ - أَنْ تَحْتَرِمِي مَنْ هُنَّ أَكْبَرُ مِنْكِ وَتَرْحَمِي مَنْ هُنَّ أَصْغَرُ مِنْكِ، وَتَتَعَاوَنِي مَعَهُنَّ عَلَى حِفْظِ النِّظَامِ وَالْهُدُوءِ وَقْتَ

التَّعْلِيمِ، اَوْ فِي الْاِسْتِرَاحَةِ، وَعَلَى اِرْضَاءِ الْأُسْتَاذَاتِ بِكُلِّ اسْتِطَاعَةٍ، وَذَلِكَ بِتَأْدِيَةِ الْوَاجِبَاتِ: كَحِفْظِ الدُّرُوسِ. وَالْاِجْتِهَادِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَاِحْضَارِ الْكُتُبِ وَالدَّفَاتِرِ، وَجَمِيعِ اَدَوَاتِ التَّعْلِيمِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى سَلَامَتِهَا مِنَ التَّغَيُّرِ وَنَظَافَتِهَا عَنِ الْاَوْسَاخِ وَالْمُوَاظَبَةِ عَلَى الْحُضُورِ يَوْمِيًّا اِلَى الْمَدْرَسَةِ، قَبْلَ مِيعَادِ التَّعْلِيمِ، وَاَنْ تَقُومِي اَنْتِ اَوْ اِحْدَى زَمِيلَاتِكِ مَقَامَ مَنْ غَابَتْ مِنَ الْاُسْتَاذَاتِ اِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْاِمْكَانِ، لِئَلَّا يَتَعَطَّلَ الدَّرْسُ، وَتَحْصُلَ الْفَوْضَى فِي الْقِسْمِ، وَطَبْعًا اَنَّ اُسْتَاذَتَكِ تَفْرَحُ جِدًّا بِمُحَافَظَتِكِ عَلَى النِّظَامِ.

٢ـ وَمِنَ الْاَدَبِ اَيْضًا: اَنْ تُحِبِّي لِزَمِيلَاتِكِ مِنَ الْخَيْرِ مِثْلَ مَا تُحِبِّينَهُ لِنَفْسِكِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ:

لَا يُؤْمِنُ اَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِاَخِيهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ

٣ـ وَاَنْ تَتَسَامَحِي مَعَهُنَّ فِي جَمِيعِ الْاُمُورِ وَتُعَامِلِيهِنَّ بِالرِّفْقِ وَاللُّطْفِ وَتُقَابِلِيهِنَّ بِالْبَشَاشَةِ وَالْاِبْتِسَامِ. وَتُسَاعِدِيهِنَّ عَلَى حُصُولِ حَاجَاتِهِنَّ وَتَحْتَرِزِي مِنْ دَوَاعِي النِّزَاعِ وَالْبُغْضِ: فَلَا تَبْخَلِي عَلَيْهِنَّ اِذَا اسْتَعَرْنَ مِنْكِ شَيْئًا وَلَا تَتَكَبَّرِي عَلَيْهِنَّ، اَوْ تَحْسُدِيهِنَّ اَوْ تَكْذِبِي عَلَيْهِنَّ اَوْ تَنِمِّي بَيْنَهُنَّ، وَلَا تُضَايِقِيهِنَّ

فِي أَمَاكِنِهِنَّ، أَوْ تُتْلِفِي شَيْئًا مِنْ أَدَوَاتِهِنَّ، أَوْ تُخَبِّئِي بَعْضَهَا، أَوْ تُسِيئِي الظَّنَّ بِهِنَّ أَوْ تُخَوِّفِيهِنَّ، أَوْ تَشْمَتِي بِهِنَّ عِنْدَ وُقُوعِ الْمُصِيبَةِ، أَوْ تُجَادِلِيهِنَّ مُجَادَلَةً خَارِجَةً عَنِ الْأَدَبِ، مُوغِرَةً لِلصُّدُورِ، أَوْ تُمَازِحِيهِنَّ مِزَاحًا كَثِيرًا، أَوْ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ، أَوْ تُصَعِّرِي خَدَّكِ لَهُنَّ فَإِنَّ هٰذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا: مَنْهِيَّةٌ عَنْهَا أَشَدَّ النَّهْيِ، لِأَنَّهَا أَسْبَابٌ لِلْخِصَامِ وَالْحِقْدِ، وَالْقَطِيعَةِ وَالْعَدَاوَةِ.

٤ - قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: «وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ»، وَفِي الْأَحَادِيثِ: أَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ - إِيَّاكُمْ وَالْكِبْرَ: فَإِنَّ إِبْلِيسَ حَمَلَهُ الْكِبْرُ عَلَى أَنْ لَا يَسْجُدَ لِآدَمَ. وَإِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ: فَإِنَّ ابْنَيْ آدَمَ إِنَّمَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَسَدًا، فَهُوَ أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ: فَإِنَّ الْكَذِبَ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ. وَإِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ: فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ. شِرَارُكُمُ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ. الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ. لَا تُرَوِّعُوا الْمُسْلِمَ: فَإِنَّ رَوْعَةَ الْمُسْلِمِ ظُلْمٌ عَظِيمٌ. مَنْ نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخِيفُهُ بِهَا فِي غَيْرِ حَقٍّ: أَخَافَهُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. مَنْ آذَى مُسْلِمًا: فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللّٰهَ: لَا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَازِحْهُ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ. لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ: فَيَرْحَمَهُ اللّٰهُ وَيَبْتَلِيكَ.

٤ - وَمِنَ الآدَابِ أَيْضًا: أَنْ تَدْعِي لَهُنَّ فِي غَيْبَتِهِنَّ، وَفِي الْحَدِيثِ: دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ: قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ.

وَأَنْ تَقْبَلِي عُذْرَهُنَّ إِذَا اعْتَذَرْنَ إِلَيْكِ فِي خَطِيئَتِهِنَّ، وَأَنْ تُصْلِحِي بَيْنَهُنَّ: إِذَا حَصَلَ مِنْهُنَّ شَيْءٌ مِنَ الْخِلَافِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ»

وَأَنْ تُسَابِقِي زَمِيلَاتِكِ إِلَى حِفْظِ الدُّرُوسِ، وَفَهْمِ الْمَسَائِلِ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ».

وَأَنْ تُسَاعِدِي الضَّعِيفَاتِ مِنْهُنَّ عَلَى التَّعَلُّمِ، وَلَا تَفْخَرِي عَلَيْهِنَّ بِحِفْظِ الدُّرُوسِ، وَسُرْعَةِ الْفَهْمِ، وَأَنْ تَجْعَلِي بَيْنَكِ وَبَيْنَهُنَّ مُبَاحَثَةً عِلْمِيَّةً وَقْتَ الْفَرَاغِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِمَّا يُفْرِحُ قَلْبَ أُسْتَاذَتِكِ.

وَمِنَ الْأَدَابِ أَيْضًا: أَنْ لَا تَغْضَبِي عَلَى زَمِيلَتِكِ، إِذَا سَأَلَتِ الْأُسْتَاذَةَ عَنْ مَسْأَلَةٍ أَشْكَلَتْ عَلَيْهَا، وَلَا تَسْتَهْزِئِي بِهَا، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَمِعِي إِلَى جَوَابِ الْأُسْتَاذَةِ حَتَّى تَزْدَادِي فَهْمًا

فِي الْمَسْأَلَةِ. وَتَفْرَحُ مِنْكِ أُسْتَاذَتُكِ وَزَمِيلَتُكِ.

٥ - إِذَا قُمْتِ بِهَذِهِ الْآدَابِ نَحْوَ زَمِيلَاتِكِ: فَلَا رَيْبَ أَنَّهُنَّ يُحْبِبْنَكِ وَيَحْتَرِمْنَكِ، وَيَسْعَيْنَ فِي نُصْرَتِكِ وَدَفْعِ الضَّرَرِ عَنْكِ، وَيَعْتَبِرْنَكِ عَلَى الْحَقِيقَةِ: زَمِيلَةً وَفِيَّةً لَهُنَّ يَأْنَسْنَ بِصُحْبَتِكِ، وَتَأْنَسِينَ بِصُحْبَتِهِنَّ، وَبِالْعَكْسِ إِذَا تَرَكْتِ هَذِهِ الْآدَابَ: فَإِنَّهُنَّ يَصِرْنَ عَدُوَّاتِكِ، وَيَكْرَهْنَ لِقَاءَكِ، فَتُصْبِحِينَ بَيْنَهُنَّ وَحِيدَةً مُسْتَوْحِشَةً، كَطَيْرٍ مَكْسُورِ الْجَنَاحِ.

٦ - وَعَلَيْكِ أَيَّتُهَا التِّلْمِيذَةُ الْأَدِيبَةُ: إِذَا وَجَدْتِ بَيْنَ زَمِيلَاتِكِ تِلْمِيذَةً شِرِّيرَةً مُعَانِدَةً لِأُسْتَاذَاتِهَا، غَيْرَ قَائِمَةٍ بِوَاجِبَاتِهَا: أَنْ تَبْتَعِدِي عَنْ صُحْبَتِهَا، كَيْلَا يَسْرِي إِلَيْكِ شَيْءٌ مِنْ طِبَاعِهَا الْخَبِيثَةِ، فَتَكُونِي مِثْلَهَا. فَقَدْ صَدَقَ الشَّاعِرُ حَيْثُ قَالَ:

إِنَّ الطِّبَاعَ تَسْرِقُ الطِّبَاعَا
وَكُلُّ مَنْ صَاحَبَ خَبِيثًا ضَاعَا

وَالنَّاسُ يَعْرِفُونَكِ خَيِّرَةً أَوْ شِرِّيرَةً بِصَاحِبَتِكِ، وَفِي الْحَدِيثِ: إِيَّاكَ وَقَرِينَ السُّوءِ فَإِنَّكَ بِهِ تُعْرَفُ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِيْنِهِ
فَكُلُّ قَرِيْنٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِيْ

٧ - إِذَا انْفَصَلْتِ عَنِ الْمَدْرَسَةِ: فَمِنْ حُقُوْقِ الزَّمَالَةِ: اَنْ لَا تَنْسَيْ زَمِيْلَاتِكِ، بَلْ يَنْبَغِيْ اَنْ تَحْفَظِيْ لَهُنَّ عُهُوْدَ الصُّحْبَةِ، وَاَيَّامَ التَّلْمَذَةِ، وَ تَخُصِّيْهِنَّ مِنْ بَيْنِ صَاحِبَاتِكِ الْأُخْرَيَاتِ: بِمَزِيْدِ الْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ وَالْإِحْسَانِ وَالْاِحْتِرَامِ، فَهٰكَذَا يَكُوْنُ الْوَفَاءُ عِنْدَ الْقَوْمِ الْكِرَامِ.

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث.

كتبه غفران خازن.

فهرس الجزء الثاني من كتاب الاخلاق للبنات